العبريةُ والعربيةُ تُكتَبان
من اليمينِ لليسار،
و تُكتَبُ اللاتينيةُ.. من اليسارِ لليمين.
اللغاتُ كالقططِ،
فلا تمسِّدْ شعرَها
في الاتجاهِ الخاطئ.

....

إنهم يقذفونَ الحجارةَ،
يتقاذفونَ هذي البلادَ
لكنها تسقطُ عائدةً الى الأرض.
إنهم يقذفونَ البلادَ، يريدونَ التخلصَ منها،
من حصاها، من ترابها
لكنهم لا ينجحونَ

...

إنهم يقذفونَ الحجارةَ،
يقذفونَ عليَّ الحجارةَ
في 1936، 1938، 1948، 1988،
يقذفُ الساميونَ الساميينَ،
وأعداءُ الساميينَ أعداءَ الساميينَ
يقذفُ الأشرارُ والأبرارُ
يقذفُ الأوغادُ ومن يغويهم
يقذفُ الجيولوجيونَ واللاهوتيونَ
يقذفُ الآثاريونَ ومثيرو الشغبِ،
تقذفُ الكُلى الحصى، وكذاكَ المرارةُ:
حجرٌ للرؤوس، حجرٌ للجِباهِ، وقلوبٌ من
حجر،
حجرٌ مثل أفواهٍ صارخاتٍ
وحجرٌ يناسبُ عينيكَ
مثل زوجٍ من النظّارات.

...



يهودا عميخاي

اللّه،
شفيقٌ بأطفال الروضة.

وقصائد أخريات

ترجمة وتعليق:
ماجد الحيدر

ألكـــا

يهودا عميخاي

الله شفيق بأطفال الروضة

ترجمة: ماجد الحيدر

الطبعة الأولى : 2017

تصميم الغلاف والإخراج الفني: مارتن كيفن

توزيع دار الرافدين

Yehuda Amichai

God has pity on kindergarten children

and other poems

Arabic translation and publishing © Alca Books 2017

ISBN: 9781 773 2249 61

ALCA Books

Chaussée de Haecht 57, Saint Josse 1210

Bruxelles/La Belgique

www.daralca.com/ info@daralca.com

يعد يهودا عميخاي (١٩٢٤-٢٠٠٠) في نظر الكثيرين في اسرائيل وخارجها أهم أعلام الشعر الاسرائيلي المعاصر، علاوة على كونه واحداً من أهم الشعراء العالميين منذ أواسط ستينات القرن الماضي. تميز بكونه من أوائل الشعراء اللذين استخدموا العبرية العامية وظلت قصائده حتى الآن الأكثر قراءةً وانتشاراً في إسرائيل.

ولد في مدينة فورتسبورغ الألمانية لعائلة يهودية تقليدية فتعلم اللغتين العبرية والألمانية. هاجرت عائلته وهو في الحادية عشرة إلى مدينة بتاح تكفا عندما كانت فلسطين تحت الانتداب البريطاني. ثم إلى القدس حيث التحق بالدراسة الثانوية ثم انضم إلى قوة البالماخ الذراع الضاربة لمنظمة الهاغانا، كما حارب كجندي في سن مبكرة لصالح الجيش البريطاني في الحرب العالمية الثانية ثم في الحروب التي خاضها الجيش الإسرائيلي وصولاً إلى حرب اكتوبر ١٩٧٣، لكنه رغم ذلك (وربما بسببه) أصبح واحداً من دعاة السلام والتصالح مع الفلسطينيين اللذين تعاون مع بعض شعرائهم في هذا الاتجاه، كما تأثر به عدد منهم مثل محمود درويش الذي لم يخف إعجابه به، لكن يصف شعره بأنه يشكل منافسةً وتحدياً له "لأننا نتحدث عن المكان نفسه، لكنه يريد أن يستخدم المشهد والتاريخ لفائدته

بعد الحرب العالمية الثانية وتسريحه من الجيش البريطاني التحق بكلية المعلمين في القدس واشتغل بالتدريس في حيفا ثم درس الكتاب المقدس

والأدب العبري في جامعة أورشليم العبرية حيث شجعه أحد أساتذته على نشر مجموعته الشعرية الأولى (ألآن وفي الأيام الأخرى-١٩٥٥). في عام ١٩٦٣ نشر روايته الأولى (لست من هذا الزمان، لست من هذا المكان) وتدور حول شاب اسرائيلي يولد في ألمانيا ويعود ليزورها بعد انقضاء الحرب العالمية و"حرب الاستقلال" ليستذكر طفولته ويحاول فهم العالم الذي خلقته مذابح الهولوكوست. أما روايته الثانية التي نشرت عام ١٩٧١ (عندما كان استاذاً زائراً في جامعة كاليفورنيا-بركلي) فتدور حول شاعر اسرائيلي يعيش في نيويورك. كان كاتباً وشاعراً غزير الانتاج ترك إرثاً كبيراً من القصص والقصائد وأدب الأطفال والمقالات والمذكرات والمراسلات التي جمعته بالعديد من أبرز شعراء ومثقفي العالم. في عام ١٩٩٤ دعاه رئيس الوزراء اسحق رابين الى قراءة بعض قصائده في حفل تسلمه لجائزة نوبل للسلام فقرأ قصيدته (الله شفيق بأطفال الروضة) التي نقشت لاحقاً على جدار في متحف رابين في تل أبيب. قام بالتدريس أستاذاً زائراً ومحاضراً في عدد من الجامعات المحلية والعالمية وحصل على الكثير من الجوائز المحلية والعالمية وترجمت أعمال الى عدة لغات وسميت باسمه عدد من الشوارع في اسرائيل وفي مدينته الأم في ألمانيا وتحولت بعض قصائده الى أعمال غنائية وموسيقية في إسرائيل وخارجها. توفي عام ٢٠٠٠ بسبب السرطان.

تميز شعره بتناول شؤون الحياة اليومية دون إغفال القضايا الفلسفية التي تدور حول معنى الحياة والموت بأسلوب يمتاز بالبساطة الشديدة (وربما بالمباشرة التي تبدو خادعة في معظم الأحيان) وبالسخرية اللطيفة والصور الشعرية المدهشة الأصيلة، وقد خاض، مثله مثل العديد من الشعراء العلمانيين في اسرائيل صراعاً مع المؤسسة الدينية والفكر الديني السائد. كانت أشعاره مليئة بالإشارات إلى الله والتجربة الدينية وأحداث

ووقائع التاريخ والكتاب المقدس. فكان أن وصف بالشاعر-الفيلسوف الباحث عن المذهب الانساني الما بعد اللاهوتي، كما اتهمت بعض صوره بتجاوزها للمقدسات؛ ففي قصيدته "وهذا هو مجدك" على سبيل المثال يصور الله وقد تمدد تحت الكرة الأرضية كما يتمدّد الميكانيكي تحت سيارة، محاولاً أن يصلحها دون جدوى. أما في قصيدته الآلهة تذهبُ وتأتي، الصلوات تبقى للأبد" فيصور اللّه على صورة دليل سياحي أو ساحر"

يقول عميخاي متحدثاً عن تمكنه الذي عرف به من لغته "لقد ترعرعتُ في أسرة شديدة التدين فصارت الصلوات والأدعية ولغتها ضرباً من اللغة الطبيعية بالنسبة لي. أنا لا أحاول -كما يفعل بعض الشعراء أحياناً- أن "أغني" قصائدي بإقحام المزيد من المواد الثقافية أو العرقية فيها، إنها تأتي بطريقة طبيعية تماماً" أما أحد النقاد فقد وصف شعر عميخاي بأنه "لعبة أصوات" فهو يبني زخماً قوياً يتحرك في تداعٍ حر كلمة إثر أخرى، والأصوات في الواقع هي التي تخلق الكلمات التي تتوالى في سلسلة تركيبية تعتمد التقارب الصوتي" وهذا الأمر كما هو معروف - علاوة على غنى قصائده بالإحالات التراثية والدينية والفلسفية- يزيد من صعوبة ترجمة قصائده الى لغات أخرى.


القصائد

المطرُ الأوّلُ

المطرُ الأوّلُ يذكِّرُني

بِغبارِ الصيفِ الصاعدِ

المطرُ لا يتذكَّرُ

مطرَ العامِ الفائتِ

العامُ وحشٌ مدرِّبٌ

لا ذاكرةَ له

قريباً سترتدينَ مِن جديدٍ

سيورَك المطرَّزةَ الجميلةَ

التي تمسكُ جواربِك الشفيفة:

أنتِ الفرسُ وأنتِ السيورُ

في جسدٍ واحدٍ

الذعرُ الأبيضُ للَّحمِ الطريِّ

في ذعرِ الرؤى المفاجِئةِ

لغابرِ القديسين.

كلبٌ لتعَقُّبِ الحبِ

بعدَ أن تركتِني

جعلتُ كلباً

يشمُّ صدري وبطني.

سيملأُ أنفَهُ بالرائحةِ

وينطلقُ.. بحثاً عنكِ

آملُ أنْ يمزِّقَ

خصيةَ حبيبكِ الجديدِ

ويقضمَ قضيبَهُ

أو يجلبَ على الأقل

جواربَكِ بين أسنانه!

راعٍ عربيٌّ يبحثُ عن جَديِهِ فوق جبلِ صهيون[1]

راعٍ عربيٌّ

يبحثُ عن جَديهِ فوقَ جبلِ صهيونَ

وعلى التلِّ المقابلِ

أبحثُ أنا عن ولدي الصغيرِ

راعٍ عربيٌّ.. وأبٌ يهوديٌّ

كلاهما غارقٌ.. في خيبتِهِ المؤقَّتةِ

واشتبكَ صوتانا في الأعالي

---

١ جبل صهيون: تل تاريخي يقع خارج أسوار القدس القديمة ذو قيمة مقدسة لدى كل من المسلمين واليهود والمسيحيين. استناداً الى سفر صموئيل فإن جبل صهيون كان في الأصل حصناً لليبوسيين احتله داود الملك وجعل فيه قصره ومدينته فصارت تسمية جبل صهيون تشير الى المدينة برمتها ثم الى أرض اليهودية وشعب اسرائيل بكامله كما صارت كلمة صهيون تحمل معنى لاهوتيا استمر في المسيحية للإشارة الى ملكوت الله الروحي. علاوة على الصراع العسكري للسيطرة على هذ الموقع والذي بلغ ذروته خلال حربي ١٩٤٨ و١٩٦٧ فإن هناك خلافاً حاداً حول هويته الدينية وآثاره وإن كان فعلاً موضع هيكل سليمان وقبر داود.

وفي الوادي الذي بيننا.. امتدتْ بركةُ السلطان[٢]

لا أحدَ منّا يريدُ أن يسقطَ الولدُ أو الجَديُ

بين عجلاتِ ماكنةِ "هاد جَديا[٣]

ثم عثرنا عليهما بين الأحراشِ

وعادَ صوتانا الى جَوفينا

٢- بركة السلطان: حوض مائي في الجانب الغربي من جبل صهيون، ربما يعود تاريخه الى زمن هيرودوت، قام السلاطين العثمانيون بتوسعته ليصبح مستودعاً لتجميع المياه كجزء من شبكة لسقاية المدينة. يجف حاليا في أشهر الصيف وتستخدم أرضه لإقامة الحفلات الموسيقية والمهرجانات

٣- هاد جَديا (أو جدي واحد): أغنية أطفال مرحة تغنى خلال عيد الفصح اليهودي وتتحدث عن أب يشتري جدياً صغيرا تأكله القطة فيعضها الكلب الذي تضربه الأم بالعصا ثم تحرق النار تلك العصا فيطفئها الماء الذي يشربه الثور الذي يذبحه القصاب (شوهيت) الذي يأخذ ملك الموت روحه فيعاقبه الرب. والأغنية ترمز في أحد تفسيراتها الى الأقوام اللذين تتابعوا على أرض اسرائيل من يهود وآشوريين وبابليين وفرس ومقدونيين ورومان وعرب وصليبيين وأتراك قبل أن يعود الرب بإعادتها الى اليهود. لكنها في تفسير آخر تمثل رحلة الانسان نحو الاكتمال وتحذره من حياة خالية من التطور الروحي، ومن الواضح أن الشاعر يحيل هنا الى دورات الصراع والعنف.

ليَضحَكا ويبكيا

البحثُ عن جَدٍ أو عن طفلٍ
كانَ على الدوامِ
بدايةَ دينٍ جديدٍ
في هذهِ الجبال.[٤]

٤ - إشارة الى قصة موسى ورعيه الغنم وضياع يوسف والعثور عليه.

حاوِلْ أنْ تتذكرَ بعضَ الثفاصيل

حاولْ أن تتذكرَ بعضَ التفاصيلِ:

تذكّرْ ثيابَ حبيبتِكَ

حتى إذا جاءَ يومُ خسرانِكِ إياها

يمكنكَ أن تقولَ:

كانت ترتدي كذا وكذا،

معطفاً بنّيا، قبعةً بيضاءَ.

حاول أن تتذكر بعض التفاصيل

التفاصيلُ لا تملكُ وجها

وأرواحُها مخبوءةٌ

وبكاؤها مثلُ ضحكِها

وصمتُها وصراخُها

يصعدانِ لارتفاعٍ واحدٍ

وحرارةُ أجسادِها

بين ٩٨ و ١٠٤ فهرنهايت

ولا حياةَ لها خارجَ هذا الفضاءِ الضيِّقِ

ولا تملكُ صورةً منقوشةً، ولا شبهاً أو ذاكرة

لكنَّ عندها أكواباً من ورقٍ لأيامِ سرورها،

وأكوابُ الورقِ لا تُستعمَلُ مرتين.

حاولْ أن تتذكرَ بعضَ التفاصيل

لأن العالمَ مليءٌ بأُناسٍ

انتُزِعوا من منامهم

وما مِن مُداوٍ

لموضعِ الانتزاع

وكلُّهم، خلافَ وحوشِ البراري،

يعيشون في مخابئِهم الموحشةِ المعزولةِ

ويموتونَ معا في سوحِ المعاركِ

أو في المستشفيات

كلُّهم ستبلعُهم الأرضُ،

الصالحُ والشرير،

كأتباعِ قارونَ[٥]

كلُّهم في تمرّدِهم على الموتِ،

أفواهُهُم فاغرةٌ الى اللحظةِ الأخيرةِ،

يُسَبِّحونَ ويلعنونَ

في عواءٍ منفرد.

حاولْ، حاولْ

أن تتذكرَ بعضَ التفاصيل.

٥- كان قارون (بحسب رواية العهد القديم) من أكابر بني اسرائيل وواحدا من أغنى رجلين في العالم (الى جانب هامان). قاد تمرداً ضد موسى فأرسل الرب عليه النار ثم انشقت الأرض وابتلعته مع كل أملاكه ومن تبعه.

أعرفُ رجلاً

أعرفُ رجلاً

صوّرَ المنظرَ الذي رآهُ

من نافذةِ الغرفةِ التي

مارسَ الحبَّ فيها.

لكنه لم يصوِّرْ

وجهَ المرأةِ التي ضاجَعَها!

المرءُ في حياتِهِ

المرءُ في حياتهِ

لا يملكُ وقتا

كي يملكَ وقتاً.. لكلِّ شيء

لا يملكُ فصولا كافيةً

كي يملكَ فصلاً لكلِّ غاية.

سِفرُ الجامعةِ [١]

كان مخطئاً بهذا الخصوص.

يحتاجُ المرءُ الى أنْ

يحبَّ ويَكرَهَ في اللحظةِ نفسِها

يضحكَ ويبكي بالعيونِ نفسِها

١ - سفر الجامعة: من أسفار العهد القديم والتناخ (الانجيل العبري). ينسب عادة الى سليمان ويضم العديد من الحكم والتأملات الفلسفية عن الحياة والموت والسعادة وفيه وردت العبارة الشهيرة (لا جديد تحت الشمس).

يرمي الحجارةَ ويلمَّها بالأيدي نفسها

ويمارسَ الحبَّ في الحربِ

والحربَ في الحب.

وأن يكرهَ ويسامحَ

ويتذكرَ وينسى

أن يرتِّبَ ويُربِكَ

ويأكلَ ويهضمَ ما يلزمُ التاريخُ

سنيناً وسنيناً.. كي يفعلَه.

لا يملكُ المرءُ وقتا

حينَ يفقدُ يلتمسُ

حينَ يجِدُ ينسى

حينَ ينسى يحبُّ

وحينَ يحبُّ.. يشرَعُ بالنسيان.

ورو‌حُهُ متمرِّسةٌ خبيرةٌ

روحهُ شديدةُ الاحترافِ

لكنَّ جسمَهُ فقط

يبقى هاويا للأبد.

يحاولُ ويخطئُ الهدفَ

يتشوشُ، يرتبكُ، ولا يتعلمُ شيئاً،

يشربُ ويَعمى

في مباهِجِها وأوجاعِها.

ويموتُ..

مثل تينةٍ في الخريف

ذاوياً، متخَما بنفسهِ وبالحلاوةِ.

وتيبَسُ الأوراقُ على الأرضِ.

والغصونُ العارية

تشيرُ الى الموضعِ الذي

فيه وقتٌ لكلِّ شيء.

أريدُ أن أموتَ في سريري

طوالَ الليلِ كان الجيشُ
يأتي من الجِلجالليبلغَ ساحةَ القتلِ، لا غيرَ.
وعلى الأرضِ كان الموتى
راقدينَ بالطولِ والعرضِ.
أريدُ أن أموتَ في سريري

كانت عيونُهم غريبةً
مثل كُوىً في زنزانةٍ
دائماً أنا القِلّةُ. دائماً همُ الكَثرةُ.
نعمْ، عليَّ أن أجيبَ:
قد يستجوبونَ رأسي، ولكنْ
أريدُ أن أموتَ في سريري.

كانتِ الشمسُ في جَبعون واقفةً لا تريمُ
إنها ترحّبُ بإلقاءِ الضوءِ

على الذين يقاتِلونَ ويُقتُلونَ.

قد لا أرى زوجتي

حينَ يُراقُ دمُها، لكنني..

أريد أن أموت في سريري.

شمشونُ كانت قوتُهُ

في شعرِهِ الفاحمِ الطويل

أما أنا فقد جزّوا شعري

يومَ جعلوني بطلاً بحُكمِ الاضطرار

وعلّموني أن أمضيَ للأمام.

بيد إني.. أريدُ أن أموتَ في سريري.

قد علِمتُ أنك تقدرُ أن تعيشَ،

وتملأَ بالمسراتِ عرينَ أسدٍ،

إنْ لم تجد غيرَه من مكان.

لكنني لا أمانعُ في

أن أموتَ وحيداً.. أن أموتَ، ولكن

أريدُ أن أموتَ في سريري.

طوالَ الليلِ كان الجيشُ

يأتي من الجِلجالِ [٢]

ليبلغَ ساحةَ القتلِ، لا غيرَ.

وعلى الأرضِ كان الموتى

راقدينَ بالطولِ والعرضِ.

أريدُ أن أموتَ في سريري

كانت عيونُهم غريبةً

مثل كُوىً في زنزانةٍ

دائماً أنا القِلَّةُ. دائماً همُ الكَثرةُ.

نعمْ، عليَّ أن أجيبَ:

قد يستجوبونَ رأسي، ولكنْ

٢ - الجلجال: كلمة عبرية معناها "متدحرج" وقد تعني "دائرة"وتشير في العهد القديم الى عدة مواضع منها موضع أول معسكر للإسرائيليين بعد عبور الأردن ودخولهم أرض كنعان. وهنا أقيم نصب تذكاري من اثني عشر حجرًا أخذت من قعر النهر وأمر يوشع (يشوع) النبي بختان بني اسرائيل الذين لم يختتنوا خلال التيه بعد خروجهم من مصر. وفي هذا الموضع أيضاً تجمع الشعب حول شاؤول الملك لمواجهة أعدائهم الفلسطينيين قبل إحدى المعارك الكبرى.

أريدُ أنْ أموتَ في سريري.

كانتِ الشمسُ في جَبعونَ[٣] واقفةً لا تريمُ
إنها ترحّبُ بإلقاءِ الضوءِ
على الذين يقاتِلونَ ويُقتُلونَ.
قد لا أرى زوجتي
حينَ يُراقُ دمُها، لكنني..
أريد أن أموت في سريري.

شمشونُ كانت قوتُهُ
في شعرِهِ الفاحمِ الطويل
أما أنا فقد جزّوا شعري
يومَ جعلوني بطلاً بحُكمِ الاضطرار

٣- جبعون: المدينة الرئيسية للحوريين من أهل كنعان، جرت في موقعها، الذي يعرف حالياً بقرية الجيب شمال غربي أورشليم-القدس، العديد من المعارك والأحداث التاريخية، ويتحدث سفر يشوع عن تحالف أدوني صادق ملك أورشليم مع ملوك محليين ضد يشوع لكن بنو إسرائيل استطاعوا هزيمتهم، وعندما مالت شمس النهار إلى المغيب ولم يفرغ بنو إسرائيل من قتل أعدائهم، أمر يشوع: يا شمس دومي على جبعون، ويا قمر على وادي أيلون، فدامت الشمس ووقف القمر حتى "انتقم الشعب" من أعداءه.

وعلّموني أن أمضيَ للأمام.
بيد إني.. أريدُ أن أموتَ في سريري.

قد علِمتُ أنك تقدرُ أن تعيشَ،
وتملأً بالمسراتِ عرينَ أسدٍ،
إنْ لم تجد غيرَه من مكان.
لكنني لا أمانعُ في
أن أموتَ وحيداً.. أن أموتَ، ولكن
أريدُ أن أموتَ في سريري.

أبي

ذكرى أبي

ملفوفةٌ في ورقٍ أبيضَ

مثل سندويتشةٍ تأخُذُها معكَ

في نهارِ عمل

وكما يُخرِجُ الساحرُ من قبعتِهِ

الأرانبَ والأبراجَ

كان أبي يستَلُّ الحُبَّ

من جسدِهِ الضئيل

وكانت أنهارُ يديه

تفيضُ بحَميدِ الفعال.

لا أعرفُ إن كان التاريخُ يعيدُ نفسَه

لا أعرفُ إن كانَ التاريخُ يعيدُ نفسهُ
لكنني أعرفُ أنكِ لا تفعلين.

أتذكَّرُ أن المدينةَ كانت مقسّمةً
ليس فقط بين اليهودِ والعرب
ولكنْ بيني وبينكِ
حينَ كنا معا.. هناك.

وصنَعْنا لنفسَينا رحِماً من الأخطارِ
بنينا لنفسَينا بيتاً من حروبٍ عازلة
مثلَ رجالِ الشمالِ القَصِّي
الذينَ شادوا لأنفسِهِم بيوتاً دافئةً
من جليدٍ عازل

المدينةُ.. أُعيدَ توحيدُها

لكننا لم نكن هناكَ معاً

والآنَ صرتُ أعرفُ

أنّ التاريخَ لا يعيدُ نفسَهُ

كما كنتُ أعرفُ دوما..

أنكِ لن تفعلي.

أسَفاً، كُنّا اختراعاً جيدا

بتروا فَخِذَيكِ من خاصرتي،
كانوا على الدوام
جرّاحينَ. كلّهم.

فكّكونا، واحداً عن الآخر؛
هُم عندي مهندسون.
وا أسفاً
قد كنّا اختراعا جيداً وحبيبا:
طائرةً مصنوعةً
من رجلٍ وامرأة:
حلّقْنا برهةً بعيداً عن الأرضِ
طِرنا قليلا!

اللهُ شفيقٌ بأطفالِ الروضَةِ

يُشفِقُ اللهُ كثيراً على أطفالِ الروضةِ
ويشفقُ أقلَّ من ذاك على تلاميذِ المدارسِ
لكنّه لا يشفقُ أبداً على البالغين.

إنّه يهجُرُهمْ
وعليهِم بعضَ الأحيانِ
أن يزحَفوا على أربعٍ
على الرملِ الحارقِ
والدمُ يسيلُ منهم
كي يبلغوا محطةَ تبديلِ الثياب

لكن ربما سيشفقُ على
من يحبّون بصدقٍ
ويعتني بهم
ويظلّلِهُم مثلَ شجرةٍ

فوقَ نائمٍ في مصطبةٍ عمومية

بل ربما أنفقْنا عليهم
آخرَ دراهمِنا من الرحمةِ التي
ورثناها عن أمِّنا.

هكذا ستحرسُنا سعادتُهُم
الآنَ وفي قابلِ الأيام.

قُطرُ القنبلة

قُطرُ القنبلةِ كانَ ثلاثينَ سنتمتراً

وقطرُ مُداها المؤثّرِ يناهزُ السبعينَ

بأربعةِ قتلى وأحَدَ عشرَ جريحاً

وحولَ هؤلاءِ، في دائرةٍ أوسعَ

من الوقتِ والألمِ،

تناثَرَ مستشفيانِ

ومقبرةٌ واحدة.

لكنَّ الشابةَ التي

دُفِنتْ في المدينةِ التي قدمتْ منها

على بعدٍ يزيدُ على المائةِ كيلومتر

توسِّعُ الدائرةَ بشكلٍ ملحوظ،

والرجُلُ الوحيدُ الذي يبكي لموتِها

على الشواطئِ البعيدةِ

في بلدٍ بعيدٍ وراءَ البحارِ

يجعلُ العالمَ كلَّه ضمنَ الدائرة

ولن أذكرَ

صراخَ الأطفالِ

الذي يعلو حتى عرشِ اللهِ وأبعَدَ

ويجعلُ الدائرة

دونَ نهايةٍ، دونَ إله.

مقبرةٌ يهوديةٌ في ألمانيا

فوقَ تلٍّ صغيرٍ في حقولٍ خصبةٍ

ترقدُ مقبرةٌ صغيرةٌ،

مقبرةٌ لليهودِ، خلفَ بوّابةٍ صدِئة

تُخفيها الشجيراتُ،

مهجورةٌ، منسيّة.

لا صوتَ صلاةٍ، لا صدى نواحٍ

يُسمَعان هنا، فالموتى

لا يُسبِّحونَ للرب.

لا شيءَ غيرَ أصواتِ الصغارِ التي ترنُّ

إذ يبحثونَ عن القبورِ ويفرحونَ

كلما اكتشفوا واحدا، كرؤوسِ فطرٍ في غابةٍ

أو حبّاتِ فراولةٍ برّية:

هنا قبرٌ آخر! هناك اسمُ أمٍّ أمّي، واسمٌ من القرنِ الماضي.

وهنا اسمٌ.. وهناك!

وإذ هممتُ بمسحِ الطحالبِ عن الاسمِ:

انظر!

يدٌ مفتوحةٌ منقوشةٌ على الشاهدِ

انه قبرُ كوهين!

أصابِعُهُ ممدودةٌ في نوبةٍ من القداسةِ والتمجيد.

وهنا قبرٌ يختفي خلفِ أيكةٍ من علّيقٍ

عليكَ أن تمشّطها جانبا

مثل خصلةِ شعرٍ

عن وجهِ حبيبةٍ حسناء.

مِنْ بين ثلاثةٍ أو أربعةٍ في الغرفةِ

مِنْ بين ثلاثةٍ أو أربعةٍ في الغرفةِ
واحدٌ يقفُ دائما عندَ النافذةِ
مُرغَما على رؤيةِ القسمةِ الضيزى
بينَ الأشواكِ
والنيرانِ فوقَ التلال.

والناسُ الذينَ غادروا كاملينَ
يُعادونَ للبيتِ في المساءِ
قطعاً نقديةً صغيرة

من بين ثلاثة أو أربعة في الغرفة
واحدٌ يقفُ دائما عند النافذة.
شعرُهُ الداكنُ يعلو أفكارَهُ الداكِنة،
وخلفَهُ، كلماتٌ هائمةٌ، دونَ حقائب،
قلوبٌ دون مؤونةٍ

نبوءاتٌ دون ماء

صخورٌ كبيرةٌ ملقاةٌ هناك

منتصبةٌ، مغلقةٌ مثل رسائلَ

دونَ عناوين.. دون مستلِمين.

مدرستي القديمة

مررتُ بالمدرسة التي درستُ فيها

حين كنتُ صبياً

وقلتُ لنفسي: هنا

تعلمتُ أموراً بعينها

ولم أتعلم أخرى.

ممتلئٌ أنا بالمعارف؛

أعرف كل شيءٍ عن تفتحِ الأزهار

في شجرةِ المعرفة

وشكلِ أوراقِها، ووظائفِ منظومةِ الجذورِ

وفطرياتِها وحشراتها المضرّة.

خبيرٌ أنا في علم نباتِ الخيرِ والشر،

وما زلتُ أدرُسُه

وسأبقى أدرسه

الى يوم موتي.

ووفقتُ قربها، ونظرت اليها

هنا حجرةُ الدرس التي

جلسنا فيها وتعلمنا.

حيث الشبابيكُ.. مفتوحةٌ أبداً

على المستقبلِ، لكننا

ظننا في براءتنا

أننا لا نرى من خلالها

غير منظر ما.

ساحةُ المدرسة

ضيقةً كانت، مرصوفة بحجارة كبيرة.

أتذكَّرُ الشغب الوجيز لاثنين منا

قرب السلالم المتداعية

الشغب الذي صار ابتداءً

لأول حبٍّ عظيم.

ها هي المدرسة

تعيش بعد زوالنا

مثل متحف

مثل كل شيء

في أورشليم.

أيٌّ نوعٍ من البشر أنت؟

"أيٌّ نوعٍ من البشر أنت؟"

سمعتهم يقولون لي.

أنا شخصٌ بشبكةِ أنابيبٍ معقدة للروح،

وآلاتٍ شديدةِ التعقيد للشعور،

ومنظومةٍ منظّمةٍ للذاكرة في أواخر القرن العشرين،

لكن بجسدٍ قديمٍ من غابر الأزمان

وإلهٍ أقدم حتى من جسدي.

أنا شخصٌ أصلح لسطح الأرض.

تخيفني المنخفضات

والآبارُ والكهوف.

قمم الجبال، وشاهقات المباني

تصيبني بالهلع.

لا أشبه شوكةً طعامٍ مغروزة

ولا سكيناً قاطعة

ولا ملعقةً مُقحَمة.

لستُ مسطحاً وماكراً

مثلَ باسطةِ طلاءٍ تزحف صاعدة.

لستُ أكثر من يد هاون ثقيلة خرقاء

تهرس الخير والشرَّ معاً

لأنال قليلاً من النكهة

وشيئاً من لذة الطعم

الأسهم لا توجهني.

أنا من يديرُ شؤوني

في هدوءٍ ورويّة

كوصيّةٍ طويلة بدأتُ بإملائها

لحظةَ ولدْت.

وها أنا الآن

واقفٌ على جانب الطريق

ضجراً، متكئاً على عدّاد موقف العربات.

يمكنني أن أقف ها هنا دون مقابلٍ، مجاناً.

لستُ سيارةً، أنا شخص

أنا رجلٌ-إله، وإلهٌ-رجل

أيامهما معدودةٌ

هللويا!

نصف سكان الارض

نصف سكان الارض

يحبون النصفَ الآخر

ونصفهم

يكرهون النصف الآخر.

فهل عليَّ لأجل هذا النصف وذاك

أن أهيم وأتحول دون انقطاع

كدورة المطر؟

أعليَّ أن أنام بين الصخور

وأبلى كجذوع الزيتون

وأصغي للقمر إذ ينبحني

وأموِّهَ حبي بالهموم كما يفعل الجنود

وأنبُتَ كعشبٍ مفزوع

بين قضبان القطارات

وأعيشَ تحت الأرض كما الخلد

وأظلَّ مع الجذور لا الأغصان

ولا ألصقَ خدي بخدود الملائك

وأحبَّ في الكهف الأول

وأبني بزوجتي

تحت عريشة من حزم الضياء

تمسكُ الأرض من السقوط

وأتقمصَ دور الميت

دائماً، دون أن أفهم،

الى آخر الأنفاس،

وآخر الكلمات؟

أعليَّ أن أنصب سارياتٍ على سطح بيتي

وملاجئ للقصف من تحته؟

أعليَّ أن أمضي في دروبٍ

لم تصنع إلا للرجوعِ

والطوافِ على كل المحطات المرعبة:

القط، والعصا، والنار، والماء، والجزار،

بين الجَديِ وملاك الموت؟

نصف الناس يحبون

نصف الناس يكرهون

وأين مكاني بين هذين النصفين المتلائمين،

ومن أي شقٍ سأرى

مشاريعَ الإسكان البيضاء لأحلامي

والراكضين الحفاةَ على الرمال

أو، في الأقل، المنديلَ الملوِّحَ

لفتاةٍ قرب التل القديم؟

قبلَ أن

قبلَ أن تغلَقَ البوابة

قبلَ أن يُطرَحَ السؤال الأخير

قبلَ أن أتحوّل

قبلَ أن تغزو الحشائشُ الحديقة

قبلَ أن تنتفي الأعذار

قبلَ أن يَصلبَ الكونكريت

قبلَ أن تُسَدَّ فتحات الناي

قبل أن تُقفلَ الخزائنُ على الأشياء

قبلَ أن تُكتَشَفَ القواعدُ

قبلَ أن تُرسَمَ الخاتمة

قبل أن يطبقَ الربَّ يديه

قبلَ أن لا يعودَ لنا...

مكانٌ للوقوف.

وهذا هو مجدك

(مقطعٌ من تسابيح أيام التوبة[٤])

وربطتُ معاً صمتي الكبير وصرختي الصغيرة

كما يربطُ ثور وحمار الى النير.

قد مررت بالسمو ومررت بالضِعة.

قد عشت في أورشليم، في روما،

وقريبا، ربما، بمكة.

بيد أن الربَّ

مختبئ هذه الأيام

والانسان يصيح:

الى أين ذهبتَ...

٤ - أيام التوبة (يومم نورايم) هي عشرة أيام تبدأ برأس السنة اليهودية (راش هَشَّنه) في الأول من شهر (تشريه) وتنتهي بعيد أو يوم الغفران (يوم كيبور) وهي فترة يخصصها المتدينون للتأمل العميق في أعمال السنة الماضية والتكفير عن أخطائها والتخطيط للسنة الجديدة

وهذا هو مجدك[٥].

تحت العالم، يرقد الرب على ظهره

منهمكاً على الدوام بالتصليح

ولا تتوقف الأعطال.

أردتُ أن أراه بأكمله

لكنني لم أرَ

غير نعلِ حذائه

وها أنا ذا

أكثر حزناً مما مضى..

وهذا هو مجدك

٥- الإحالة هنا الى سفر الخروج-الاصحاح الثالث والثلاثون "١٨ فقال (موسى للرب) ارني مجدك. ١٩ فقال اجيز كل جودتي قدامك.وانادي باسم الرب قدامك.واتراءف على من اتراءف وارحم من ارحم. ٢٠ وقال لا تقدر ان ترى وجهي.لان الانسان لا يراني ويعيش. ٢١ وقال الرب هوذا عندي مكان.فتقف على الصخرة. ٢٢ ويكون متى اجتاز مجدي اني اضعك في نقرة من الصخرة واسترك بيدي حتى اجتاز. ٢٣ ثم ارفع يدي فتنظر ورائي.واما وجهي فلا يرى"

حتى الأشجار خرجت مرة

لتختار عاهلها.

وأنا، ألف مرةً، منحتُ الحياةَ

رفسةً أخيرة.

في آخر الشارع ثمة شخصٌ

يقف ويلتقط:

هذا الانسانَ، وهذا، وهذا، وهذا وهذا.

وهذا هو مجدك

ربما حياتنا، كتمثال قديم فقد ذراعيه،

لها سحرٌ أعظم

دون أبطال ومآثر.

دع قميصي، حلَّ عني يا حب:

تلك كانت آخر معاركي.

نازلتُ كل الفرسان

حتى نضبت الكهرباء.

وهذا هو مجدك

أرح عقلك

قد مضى معي طوال الطريق

والآن قد تعِب

ولا بد من استراحةٍ لبقيّة اليوم

وأراك واقفة

عند باب الثلاجة المشرع

مكشوفةً من الرأس للقدمين

في النور القادم من عالمٍ آخر.

وهذا هو مجدي

هذا هو مجده

هذا هو مجدك!

الآلهةُ تذهبُ وتأتي، الصلوات تبقى للأبد

-١-

في الشارع، ذات أمسية صيف

أبصرتُ امرأة تكتب كلماتٍ

على ورقة نشرتها

فوق باب خشبي مقفل

ثم طوتها ودسَّتْها بين الباب والميزوزا[٦]

قبل أن تبتعد

أنا لم أر وجهها

ولا الكلمات

ولا وجه من سيقرأها.

وعلى منضدتي يَحط حجرٌ

٦ - رقعة من جلد أو ورق تكتب عليها بعض النصوص الدينية توضع في علبة مزخرفة في العادة وتربط الى إطار الباب عند بعض اليهود علامةً على التدين.

مكتوبٌ عليه "آمين"

هو قطعة من ضريح

أثرٌ من مقبرة يهودية

دُمرت قبل ألف عام

في المدينة التي بها وُلِدت.

كلمةٌ واحدة "آمين" حفرت عميقاً في الحجر-

آمينُ أخيرةٌ قاسية

من أجل كل شيء

مضى ولن يعود.

آمينُ ناعمةٌ، منغَّمة مثل صلاة

آمين وآمين، ولتكن مشيئته.

تتكسر شواهد القبور

تُنسى الكلمات

وتستحيل شفاهٌ نطقتها.. الى غبار،

تموت اللغات كما الناس،

تُبعثُ لغاتٌ غيرها،

تتغير آلهة السماء،

الآلهة تذهبُ وتأتي،

الصلوات تبقى للأبد.

-٢-

الثيولوجيا اليهودية، ثيو، ثيو.

على اسم طفلٍ عرفته في صغري

كان اسمه ثيودور، مثل هرتزل(٧)

لكن امه كانت تناديه ثيو.

ثيو يا رفيق الملعب. عد لبيتك يا ثيو

لا تبق في الخارج

مع الصبية السيئين

ثيو، ثيو، ارجع، نعم نعم.

٧- ثيودور هرتزل Theodor Herzl (١٨٦٠-١٩٠٤) صحفي وكاتب مسرحي وناشط سياسي يهودي هنغاري يعد الأب الروحي للحركة الصهيونية ومؤسس المنظمة الصهيونية العالمية.

أريد إلها مرئياً لكن لا يَرى

كيما أقوده وأحكي له

عما لا يراه.

وأريد إلها مرئياً وبصيرا.

أريد أن أرى كيف يغطي عينيه

كطفل يلعب دور الأعمى.

أريد إلهاً مثل نافذةٍ

حين أفتحها

أرى السماء

وأنا ماكثٌ في بيتي.

أريد إلها مثل بابٍ لا يفتح إلا الى الخارج،

لكن الله

مثل باب يدور على محوره

داخلاً.. خارجا.. على محوره

دون ابتداء.. دون انتهاء.

-٣-

وأقول في يقين:

قد سبقتِ الصلواتُ اللهَ.

قد خلقتِ الصلواتُ اللهَ.

قد خلق اللهُ الانسانَ

ثم خلق الانسانُ الصلواتِ التي

خلقت اللهَ الذي..

خلقَ الانسان!

-٤-

الله.. هو السلالم الصاعدةُ الى

مكان ما عاد موجوداً

أو لم يوجد بعدُ.

السلالمُ إيماني

السلالمُ يأسي.

يعقوبُ أبونا، في حلمه، أدركَ ذاك.

والملائكُ لم تكن

غير مزيِّنةٍ للدرجات

كزينةٍ في شجرةِ الميلاد.

وأغنية الصعود[٨]

أغنيةٌ في الثناء على رب السلام.

-٥-

حين غادرَ الله الأرض

نسيَ التوراة عند اليهود.

من يومها هم يبحثون عنه

ويصيحون خلفه، يصرخون:

"قد نسيتَ شيئاً، قد نسيت!"

لكن الآخرين يحسبون

٨ - ويقصد به عيد صعود المسيح أو ارتفاعه ويحتفل به بعد أربعين يوماً من عيد الفصح.

أنها صَلاتهم، صَلاةَ اليهود.

من يومها هم يحاولون

أن يجدوا في الكتاب

تلميحاً الى مكانهِ، كما مكتوبٌ فيه

"اسأل عن مكان الرب، ناده فهو قريب"[١]

لكنه ليس قريبا

إنه بعيدٌ بعيد؟

-٦-

على رمل الشاطئ

آثار خطى الطيور

تلوح كخطٍّ يدٍ دوَّن صاحبها

ملاحظاتٍ لتذكر الأشياء

والأعداد والأماكن.

١ - اطلبوا الرب ما دام يوجد. ادعوه وهو قريب" سفر أشعياء (٦:٥٥) . " الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق" (المزامير ١٤٥:١٨)

آثار أقدام الطيور

في الليل فوق الرمال

تبقى في النهار،

لكنني لا أرى الطير الذي صنعها،

كما الحال مع الله.

-٧-

يا أبانا، يا مليكنا

ماذا يفعلُ أبٌ تيتَّمَ أطفاله

وهو حيّ؟

ماذا يصنع أبٌ ماتَ أطفالهُ

وظل أباً نادباً الى آخر الأيام؟

يبكي ولا يبكي. لا ينسى ولا يتذكر.

-٨-

يا أبانا، يا مليكنا

ماذا يصنع ملكٌ

في جمهورية الألم؟

أعطهم خبزاً وسيركاً

مثل كل الملوك:

خبزاً للتذكرِ وسيركاً[٢] للنسيان.

خبزاً واشتياقاً. اشتياقاً لله،

ولعالمٍ أفضلَ.

أبانا.. يا مليك!

-٩-

طوال السنة

يقرأ اليهود التوراةَ على الله

فصلاً كل اسبوع،

مثل شهرزاد التي

٢- أعطهم خبزاً وسيركا ولن يثوروا. (مقولة للشاعر الروماني الساخر جيوفينال-القرن الأول للميلاد)

تروي الحكايا لإنقاذ روحها،

وحين يحل عيد التوراة[٣]

يُنسى كلُّ شيء

ونبدأُ من جديد.

-١٠-

الله مثل دليلٍ سياحي

يصف حياتنا ويشرح للزائرين

والسياح، وأطفال الله:

"هي ذي الطريقةُ التي.. بها نعيش!"

٣- احتفال التوراة (سمحث توراه) عيد ديني يهودي يحتفل به في ختام الدورة السنوية لقراءة التوراة العمومية وبدء دورة جديدة.

لا تُبدِ ضعفاً

عليكَ ألا تبديَ ضعفاً

وعليك أن تكتسب سمرةً من لفح الشمس.

لكنني أشعر أحياناً

وكأني خِمار شفيف

لامرأةٍ يهودية يغمى عليها

في حفل زفاف

أو في يوم الغفران[٤].

عليكَ ألا تبديَ ضعفاً

وعليك أن تكتب قائمةً

بكل ما يمكنك تحميله

في عربةِ طفلٍ..

لا طفلَ فيها.

---

٤ - يوم الغفران (يوم كيبور) ويقع في العاشر من شهر (تشريه) وهو أقدس أيام السنة عند اليهود ويخصص برمته للصلاة والصيام والاستغفار

تبدو الأمور هكذا:

إن سحبتُ السدادة

بعد تدليل نفسي في المغطس

أخشى أن أورشليمَ كلها،

ومعها العالم كله

سيشفطان خارجين

للظلمة الهائلة.

في ساعات النهار

أنصب الفخاخ للذكريات

في الليل أعمل في مطاحن بلعام[٥]:

أحول اللعنات الى بركات

٥- كان بلعام، بحسب رواية العهد القديم، نبياً من غير بني اسرائيل، عندما اقترب بنو اسرائيل من الأرض الموعودة (أواخر أيام موسى) طلب منه بالاك ملك الموآبيين أن يصب لعنته عليهم ليمنعهم من هزيمته، فرفض في البداية لكنه رضي بذلك نظير المال، غير أن الرب منعه من ذلك عن طريق إنطاق حماره الذي حذره من العواقب أولا، ثم عن طريق جعله يبارك بني اسرائيل كلما فتح فمه ليلعنهم. اقتنع بلعام بفشل مهمته لكنه نصح ملك الموآبيين بأن يغري الاسرائيليين بالنساء وبالطعام المقدم للأصنام فوقع العديد منهم في الفخ وغضب عليهم الرب مسلطا عليهم الطاعون. أما بلعام نفسه فلقي جزاءً قاسيا على فعلته.

والبركات الى لعنات

ولا تُبدِ ضعفاً.. أبداً لا تبدِ ضعفا

أحياناً أشق طريقي

محطماً داخلي

دون أن يشعر أحد.

أنا سيارة إسعاف على رجلين

أنقل المريض الذي بداخلي

لمركز الإسعافات الأخرويةِ.

عويلي صفارة الانذار

والناس تحسبهُ كلاماً.

في منتصف القرن

في منتصف القرن
استدرنا لبعضنا
بنصف وجهٍ وأعينٍ كاملة،
مثل رسوم مصريةٍ قديمة،
لوهلةٍ وجيزة.

ومسَّدتُ شعرك
عكس اتجاه المارش
وسمَّينا بعضنا
كما تسمّى مدنٌ
يجتازها المرء في السفر.

جميل هو العالم إذ يستيقظُ للشرّ.
جميل هو العالم إذ ينام عن الخطيئة والرحمة.
وفي شذوذ بقائنا معاً، أنا وأنت.

جميل هو العالم.

الأرضُ تشرب الناس وقصص حبهم

كالنبيذ، لتنسى.

محالٌ محال

نحن أيضاً كمحيط جبال يهودا

لن نجد السلام.

في منتصف القرن استدرنا لبعض البعض

ورأيت جسدك

يلقي ظلاً، ينتظرني.

وأحزمة السفر الطويل

مشدودةٌ بالعُرضِ، عبر صدري.

وقلتُ كلماتٍ

في الثناء على خصرك الفاني.

وقلت كلمات

في الثناء على وجهي الزائل.

ومسدت شعرك باتجاه المارش،

لامست نُذرَ هلاكك

لا مست يدك التي قطُّ لم تنَم

لا مستُ فمك الذي

ربما سيغنّي.

غبار الصحراء

غطى المائدة

لم نأكل عليها ولكن

كتبتُ عليها، بأصابعي،

حروف اسمك.

عندي موتى

عندي موتى

مدفونون في الهواء.

عندي أمٌّ ثكلى

وانا في الحياة.

وأنا مثلُ مكانٍ

في حربٍ مع الزمان.

مرةً، رقصت الخُضرة فرحاً

قرب وجهك في النافذة.

وفي أحلامي فقط

ما زلتُ أعشقُ بجنون!

الناس في الجانب المعتم يرون دائماً

الناس في الجانب المعتم

يرون دائماً

من في الجانب المضاء.

تلك حقيقة قديمة

منذ خَلقِ الليل والشمس،

الناسِ والظلام، والكهرباء.

حقيقةٌ أفاد منها صانعو الحروب

لتسهيل القتل من الكمائن،

حقيقة تتيح للتعساء

رؤية السعداء،

وللوحيدين رؤية العشاق

في الغرف السابحة بالنور.

بيدَ أن الحياة

تمضي بين الظلمة والنور:

قلتِ لي "أقفلتُ الباب"

إنها لجملةٌ مهمةٌ، ملآى بالقضاء والقدر.

ما زلتُ أذكر كلماتها، لكنني

نسيت من أي جانب قيلت،

من الداخل أم الخارج.

ومن الرسالة الوحيدة التي كتبتها لك

ما عدتُ أذكر

غيرَ طعمِ صمغِ الطوابع

على لساني!

١٩٢٤

ولدتُ في ١٩٢٤.

لو كنت كماناً لما كنت بعمري هذا

في حالةٍ جيدة.

لو كنت نبيذا لكنتُ رائعاً، أو حامضاً بالإجمال.

ككلبٍ.. لكنتُ ميتاً

ككتاب.. لكان سعري آخذا بالصعود،

أو لرُكِنتُ جانباً.

كغابةٍ.. سأكون فتيّاً

كماكنة.. سأكون سخيفاً

وكإنسانٍ.. أنا متعَبٌ.. متعَبْ!

ولدتُ في ١٩٢٤.

وحين أفكر بالبشر، لا أفكر إلا

بمن ولدوا في سنتي.

أمهاتهم.أنجبن مع أمي

أينما كنَّ،

في المشافي أو الشقق المظلمة.

في هذا اليوم، عيد ميلادي

أريد أن أتلو

صلاةً عظيمةً لأجلكم

يا من تنوء حياتكم

تحت حمل الآمال والخيبات

يا من تتضاءلُ أعمالكم

وتزداد أربابكم

كلكم أخوةُ رجائي

ورفاقُ خيبتي.

عسى أن تجدوا الراحة الملائمة

الأحياء منكم في حياتهم

والموتى في موتهم.

الفائز من يتذكر

طفولته خيراً من الآخرين،

لو كان هناك.. فائزون!

زواجٌ متأخر

جلستُ لأعوامٍ طوال

في غرف الانتظار، مع عرسانٍ

أصغرَ مني سناً.

ولو عشتُ في غابر الأزمان

لكنتُ الآن نبياً.

بيد أني الآن.. أنتظرُ في هدوء

لأسجِّلَ اسمي واسمَ حبيبتي

في سجلِّ الزيجات الكبير.

وأجيبَ على أسئلةٍ

ما زلت قادراً على إجابتها.

قد ملأتُ حياتي كلماتٍ

قد راكمتُ في جسدي معلوماتٍ

يمكن أن تغذي

مخابرات دولٍ عديدة.

بخطواتٍ ثِقالٍ أحملُ أفكاراً خفيفة

كما كنت في شبيبتي

أحمل أفكاراً مُثقلةً بالمصير

على أقدامٍ خِفاف

تكاد ترقص بأحمالها.. من رؤى الغد.

ضغطُ حياتي يُدني يومَ ميلادي

من يوم موتي، مثل كتبِ التاريخ،

حيث ضغط التاريخ

يقرِّبُ الرقمين

بعد اسمِ الملك الميت

لفاصلةٍ صغيرة!

أتشبثُ، بكل وجودي، بالفاصلة

كما بلوح نجاة.

أعيش على الفاصلة

وعلى فمي عهدُ ألا أكونَ وحيداً

وصوتُ العروس، وصوتُ العريس

وصوتُ الصغارِ حين يلعبون

في شوارعِ أورشليمَ

وجبال يهودا.

أحياناً تصيرُ أورشليم

أحياناً تصيرُ أورشليم

مدينةَ للسكاكين

وتصير آمالُ السلام نفسها

مرهَفة كنصلٍ يغور

في الواقع الجافي الخشن

ويعود كليلاً، مثلوماً.

أجراس الكنيسة تجهد كي تطلق

أنغاماً رقيقة هادئات،

لكنها تغدو ثقالاً

كمِدَقَّةٍ تقرع هاونها،

أصواتاً ثقالاً، مكتومة، داستها الأقدام.

ويحاول مرتل الكنيس

ومؤذن المنارة

أن ينشداً في عذوبة،

لكن العويل القاطع الثاقب

يتفجر في النهاية:

أيها الرب، يا إلهنا جميعاً،

الربُّ واحدٌ،

واحد، واحد، واحد، واحد!

الله مليء بالرحمة

"الله-مليء-بالرحمة"

دعاءٌ لأجل الموتى.

ولولا أن الله

مليء بالرحمة

لانتشرتِ الرحمة في كل الدنيا

ولم تُحبس فيه.

أنا الذي قطفتُ الزهورَ في التلال

وأشرفتُ بناظري على الوديان

قادرٌ على إخباركم

أن الأرض..

خلوٌ من الرحمة.

أنا الذي كنتُ ملكَ الملح[٦] في ساحل البحر.

٦- ربما كانت إشارة الى إحدى القصص الشعبية (التي استفاد منها شكسبير في مسرحيته الملك لير) عندما أجابته ابنته الصغرى عن سؤاله لبناته عن مقدار حبهن له قائلة "أحبك بقدر الملح" أو إشارة الى قصة زوجة لوط في سفر التكوين١٩: ٢٦ "ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح"

أنا الذي مكثتُ عند نافذتي دون قَرارٍ

وعددتُ خطى الملائكِ.

أنا، من ناءَ قلبُه بأحمال الكروبِ

في الصراعاتِ البغيضة.

أنا الذي لا يستخدم سوى جزءٍ صغيرٍ

من كلماتِ القاموس.

أنا المرغَم على حلِّ ألغازٍ لا أريد حلها.

أعرف أنْ لولا امتلاء الله بالرحمة

لكانت الرحمة في كل مكان

لا فيه فقط.

قرب حائطِ بيت

قربَ حائطِ بيتٍ
مصبوغٍ ليبدو كالحجر
تجلّى ليَ اللهُ.

ليلُ السهاد الذي
يمنحُ الآخرين الصداعَ،
أعطاني زهوراً رائعات
تفتحتْ في دماغي

وذاك الذي ضاعَ كالكلابِ
سوف يجدونَه، مثلَ آدمي
ويُرجعونهُ للبيت.

الحبُ ليس الغرفةَ الأخيرة
هناك غيرُها مِن بَعدها

على امتدادِ الرواق

الذي لا ينتهي.

قد صرتُ كثيف الشعر

قد صرتُ كثيفَ الشعر

في جسمي برمّتِه

كم أخشى أن يبدأوا باصطيادي

من أجلِ فِرائي.

قميصي الكثيرُ الألوان

لا يحملُ معانيَ الحبِ

إنه مثلُ صورةٍ من الجو

لمحطةِ قطار.

جسدي في الليل

مفتوح ويقظٌ تحت اللحاف

كعيونٍ معصوبةٍ

لرجلٍ ينتظر الإعدامَ بالرصاص

في قلقٍ سأهيم على وجهي
في جوعٍ للحياةِ سأموت

ورغم هذا كنت أريد
أن أبقى هادئا، مثل هضبةٍ
تطوي مدناً بائدةً
وساكناً، كمقبرةٍ مُتخَمة.

عين ياهاف[1]

رحلةٌ ليليةٌ الى عين ياهاف

في صحراء عَرَفَه

قيادةٌ في المطر، نعم في المطر.

هناك التقيت بأناسٍ يزرعون النخيلَ

هناك رأيتُ أشجارَ الطَرفاء

وأشجارَ الخطَر

هناك رأيتُ الأملَ

محاطاً كما الأسلاكِ الشائكة.

وقلتُ لنفسي: نعم، هذا صحيح،

يحتاجُ الأملُ

أن يكون كما الأسلاكُ الشائكة

كي يُبعِدَ اليأسَ.

١ - مستوطنة زراعية شمالي وادي عربه (الذي يمتد من البحر الميت الى خليج العقبة ويفصل الاردن عن اسرائيل) أقيمت فيها محطة للابحاث الزراعية، يقع قربها موقع لصهر النحاس يعود الى بدايات العصر البرونزي.

عليه، على الأمل

أن يكونَ حقلَ ألغام!

امرأةٌ مضبوطة

امرأةٌ مضبوطةٌ، بقَصَّةِ شعرٍ قصيرةٍ

تعيد النظامَ لأفكاري، وأدراجِ خزانةِ الزينة.

وتنَقِّلُ الأحاسيسَ مثل قطع الأثاث

في ترتيبٍ جديد.

امرأةٌ شُدَّ جسمها من الخصرِ في إحكام

وقُسِّمت بصرامةٍ

الى جزأينِ: أعلى وأسفل.

امرأةٌ بعينين تنبئان بالطقس

ونظارةٍ ضد الكسر.

حتى تأوهاتها في الفراش

تتبع نسقاً محدداً، واحدةً بعد أخرى:

حمامةٌ داجنة، حمامةٌ برية، ثم ديكٌ رومي،

ديكٌ رومي جريح، ديك رومي، ديك رومي،

حمامة برية، حمامة داجنة، حمامة، حمامة،

سُمّانة، سُمّانة، سُمّانة [٢]

امرأة مضبوطة: حذاؤُها،

على سجادةِ غرفةِ النوم،

يشير دوماً بعيداً عن السرير

(وحذائي باتجاه السرير)

٢ - السمّان أو الدج: طائر صغير مغرد.

ولن نُستثار

ولن نُستثارَ.

لأنَّ المترجمَ

لا ينبغي أن يستثار.

علينا، أن نُحيلَ الكلماتِ

برِفقٍ

من الأبِ للابنِ، من لسانِ امرئٍ

الى شفاهِ آخرَ،

دونَ علمٍ وقصد، كما يمررُ الأبُ

ملامحَ أبيهِ الميتِ لابنهِ

دونَ أن يشبهَ، هو، أيّا منهُما..

ليسَ غيرَ وسيط.

ينبغي أن نتذكرَ

ما مسكناهُ باليدِ

مرةً.. ثم أفلتَ منها.

ما كانَ مِلكَ يميني..

وما لم يكنْ

لا ينبغي أن نستثارَ.

المكالماتُ غرقتْ، وأصحابُ المكالماتِ.

أو أن حبيبتي

سلّمتني، قبلَ الرحيلِ

حفنةً من كلماتٍ

أربّيها لها.

ينبغي أن نكُفَّ

عن روايةِ ما رووهُ لنا

لرواةٍ جُدُدٍ.

السكوتُ دليلُ الرضا.

وعلينا..

ألاّ نستثار!

لا ترضَ

لا ترضَ بهذي الأمطارِ

التي تتأخرُ كثيراً.

الأفضلُ أن تتسكعَ قليلاً.

أن تجعلَ آلامَكَ صورةً للبحرِ.

أن تقولَ: هذا قيلَ قبلا وأنْ

لا تنظرَ صوبَ الغربِ.

ارفضِ التسليمَ.

جرِّبْ، بهذا العامِ أيضاً،

أن تُمضيَ وحيداً ذا الصيفَ الطويلَ،

وتأكلَ خبزَكَ اليبيسَ

وتُحجِمَ عن البكاءِ.

ارفضْ أن تتعلمَ من التجاربِ!

تمثَّلْ بشبيبتي،

وإيابي في آخرِ الليلِ،

وما خُطَّ في

مطرِ السنةِ الماضيةِ.

لا فرقَ الآنَ.

أنظرْ لأحداثِكَ

كما لأحداثي

وكلُّ شيءٍ سيكونُ

كما كانَ قبلاً:

ابراهيمُ سيعودُ أبرامَ

وسارةُ.. تعودُ ساراي[٣].

٣- ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له انا الله القدير سر امامي وكن كاملا، فاجعل عهدي بيني وبينك واكثرك كثيرا جدا، اما انا فهوذا عهدي معك وتكون ابا لجمهور من الامم، فلا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني اجعلك ابا لجمهور من الامم (....) وقال الله لإبراهيم ساراي امراتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة، فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال في قلبه هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة" سفر التكوين-١٧

ياد مُردَخاي(٤)

ياد مردخاي. أولئكَ الذينَ سقطوا هنا

ما زالوا يطلّونَ من الشبابيكِ

كأطفالٍ مرضى

ممنوعينَ من الخروجِ للّعبِ.

وعلى سفحِ التلِّ يُعادُ تمثيلُ المعركةِ

من أجلِ السيّاحِ والمتنزهينَ:

جنودٌ من صفيحٍ رقيقٍ

ينهضونَ ويسقطونَ ثم ينهضونَ.

صفيحٌ ميتٌ، صفيحٌ حيٌّ،

والأصواتُ كلُّها..

صفيحٌ.. صفيح.

٤- ياد مردخاي (وتعني تذكار مردخاي) مستوطنة زراعية تعاونية تقع جنوبي عسقلان، دارت فيها معركة شرسة بين الجيشين المصري والاسرائيلي عام ١٩٤٨. سميت بهذا الاسم تكريماً لمردخاي أنيالافيتش وهو شاب يهودي قتل أثناء قيادته لانتفاضة الحي اليهود في وارشو ضد النازيين عام ١٩٤٣ التي قرر هتلر بعدها تسويته بالأرض وإبادة من تبقى فيه. يوجد في المستوطنة متحف مخصص لكل من مردخاي ومعركة ١٩٤٨.

حتى الموتى حينَ يُبعَثونَ

صفيحٌ يرنُّ ويرن.

وأنا قلتُ لنفسي:

كلُّ امرئٍ مشدودٌ لفجيعتِهِ

كما لمظلَّةٍ

تهبطُ على مهلٍ

وتحومُ على مهلٍ

قبلَ أن تلمسَ اليابسةَ.

إن نسيتُكِ يا أورشليم

إن نسيتُكِ يا أورشليمَ

فلتُنسَ يُمنايَ

لتُنسَ يمنايَ، ولتبقَ يسرايَ تتذكرُ.

فلتبقَ يسرايَ تتذكرُ، ويُمناكِ مغلقةً

وفمَكِ مفتوحاً قربَ البوّابةِ.

سأتذكرُ أورشليمَ

وأنسى الغابةَ.. حبيبتي ستتذكرُ،

ستنشرُ شَعرَها

وتغلقُ شُبّاكي

ستنسى يُمنايَ

ستنسى يسراي

إن لم تأتِ الريحُ الغربيةُ

فلن أغفرَ للجدرانِ،

أو للبحرِ، أو لنفسي.

وإذا ما نسيتُ يمنايَ

يسرايَ ستغفرُ،

وسأنسى كلَّ الماءِ

سأنسى أمّي.

إن نسيتكِ يا أورشليمَ

فليُنسَ دمي.

سألامسُ جبينَكِ،

وأنسى جبيني،

ويتغيرُ صوتي

للمرةِ الثانيةِ والأخيرةِ

لأفظعِ الأصواتِ..

أو للصمت!

أورشليم

فوقَ سطحٍ ما

في البلدةِ القديمة(٥)

غسيلٌ منشورٌ

تحتَ شمسِ الأصيل:

ملاءةٌ بيضاءَ لامرأةٍ هي عدوَّتي

ومنشفةٌ لرجلٍ هو عدوّي

يمسحُ بها عن جبينِهِ العرَقَ.

٥- كانت البلدة القديمة التي تبلغ مساحتها أقل من كيلومتر مربع داخل الجزء الشرقي من مدينة القدس الحديثة (والمحاطة بسور بناه العثمانيون.) تشكل حتى ستينيات القرن التاسع عشر مدينة القدس برمتها قبل أن تتوسع وتبنى بها أحياء جديدة. تضم البلدة العديد من الرموز الدينية للأديان الثلاثة (مثل حائط المبكى أو البراق وكنيسة القيامة والمسجد الأقصى وقبة الصخرة) ابتداءً من القرن التاسع عشر، قسمت البلدة إلى أربعة أحياء لكل من المسلمين والمسيحيين واليهود والأرمن. بعد انتهاء الانتداب البريطاني وحرب ١٩٤٨ صارت تحت الحكم الاردني ثم سيطر عليها الاسرائيليون في حرب حزيران ١٩٦٧ ليعلنوا بعدها ضمها الى القدس الموحدة التي أعلنوها عاصمة لهم رغم ان المجتمع الدولي ما زال ينظر اليها كجزء من الاراضي الفلسطينية المحتلة. في عام ١٩٨١ أضافتها منظمة اليونسكو الى قائمة مواقع التراث العالمي.

فِي سماء البلدةِ القديمة

طائرةٌ ورقيةٌ.

فِي طرفِ الخيطِ الثاني

طفلٌ يمنعُني الجدارُ مِن رؤيتِه.

رفعنا أعلاماً كثيرة،

رفعوا أعلاماً كثيرة.

ليقنعونا بأنهم سعداء.

لنقنعهم.. أننا سعداء!

في يومِ قتلى الحروب

في يومِ استذكارِ قتلى الحروبِ
أضِف الى حزنِهم،
أحزانَ خساراتِكَ
وحتى حزنَ امرأةٍ تركَتك.
امزجِ الأسى بالأسى،
ككتابِ تاريخٍ يختصرُ الوقتَ
ويكوّمُ في يومٍ واحدٍ،
لأجلِ الحفظِ السهلِ المريحِ،
أيامَ الأعيادِ والأضاحي والحِداد

أيها العالَمُ اللذيذُ المنقوعُ كالخبزِ
في الحليبِ الطيِّبِ
لأجل إلهٍ بشعٍ أدرد،
"خلفَ هذا كلِّه تختبئُ سعادةٌ كبرى"
لا نفعَ في أن تنتحبَ من داخلِكِ

وتصرخَ من خارجِكِ
خلفَ هذا كلِّه تختبئُ، ربما، سعادةٌ كبرى.

يومُ الاستذكارِ..
المِلحُ المرُّ في زيٍّ طفلةٍ
تُزينهُ الورودُ.
والشوارعُ مطوَّقةٌ بالحبالِ،
لأجلِ المسيرةِ المشترَكةِ
للأحياءِ والموتى.
وأطفالٌ يحملونَ حزناً ليسَ لَهُم
ماضونَ في مسيرٍ بطيء
كمَنْ يخطو على هشيمِ الزجاج.

فَمُ عازفِ الناي
سيبقى هكذا لأيامٍ عديدةٍ.
وجنديٌّ ميتٌ يسبحُ فوق الرؤوسِ الصغيرةِ
بحركاتِ سباحةٍ يجيدُها الموتى،

وبِالوَهْمِ القديمِ للموتى

عنْ مكانِ الماءِ الحيِّ.

وثمةَ علمٌ

يفقدُ صِلتَهُ بالواقعِ، ويطيرُ مبتعداً.

وشبّاكُ دكانٍ.. مُزَيَّنٌ بثيابِ نساءٍ جميلاتٍ

زرقاءَ وبيضاء[٦]

كلُّ شيءٍ هنا بثلاثِ لغاتٍ:

العبريةُ، العربيةُ.. والموت.

حيوانٌ جليلٌ عظيمٌ

يحتضرُ الليلَ بطولهِ

تحتَ شجرةِ الياسمينِ

محدِّقا بالعالمِ في ثباتٍ.

٦ - اشارة الى لونَي العلم الاسرائيلي.

وعلى قارعةِ الطريقِ

رجلٌ ماتَ ابنُهُ في الحربِ

يسيرُ مثلَ امرأةٍ تحملُ في رحمِها

جنيناً ميتا.

و "خلفَ هذا كلِّه.. تختبئُ سعادةٌ كبرى"

في شارع الحاخام كوك [1]

في شارعِ الحاخامِ كوك سِرتُ

في غيابِ هذا الصالحِ-

على رأسِهِ قبعةُ فرو[2] لأجلِ الصلاةِ

وقبعةٌ بسقفِ حريرٍ.. لأجلِ الحُكمِ،

تطيرانِ في هواء الموتى من فوقي،

تطفوانِ على ماءِ أحلامي.

وجئتُ "شارعَ الأنبياء" لا نبيَّ فيه.

وجئتُ شارعَ الأثيوبيينَ.. هناكَ القليلُ منهم.

أبحثُ أنا عن مكانٍ لكِ

---

١ Abraham Isaac Kook (١٨٦٥-١٩٣٥): لاهوتي ومفكر وباحث في التوراة والشريعة اليهودية. ولد في ما يعرف بلاتفيا الحالية عام ١٨٦٥ وتوفي في القدس عام ١٩٣٥. يعد أول يهودي أشكنازي (أوربي) يصل الى مرتبة الحاخام الأكبر في منتدبية فلسطين البريطانية وواحداً من أهم رجال الدين اليهود وأكثرهم تأثيراً في القرن العشرين.

٢- قبعة الفرو Shtreimel قبعة يلبسها الرجال المتزوجون من بعض الطوائف اليهودية فوق الطاقية الصغيرة المستديرة المعروفة أيام السبت والأعياد والمناسبات الدينية.

كي تعيشي فيه بعدي،

أوَسِّدُ لكِ عشَّ وحدتِك،

أهيئُ بعرقِ جبيني موضعَ آلامي،

أتفحصُ الطريقَ الذي منه سترجعينَ

وشبّاكُ غرفتِك، ذاك الجرحُ الفاغرُ

بين المُشرَعِ والمقفول

بين الظلمةِ والنور.

في الكوخِ روائحُ خبزٍ

وثمةَ دكانٌ يوزعونَ فيه الأناجيلَ مجانا،

مجاناً، مجاناً.

أكثرُ من نبيٍّ

غادرَ هذي الأزقةَ المتشابكةَ

بينما الأشياءُ كلُّها

تتداعى فوق رأسِه

حتى يغدو شخصاً آخرَ.

في شارعِ الحاخامِ كوك سِرتُ

وسريرُكِ فوقَ ظهري مثل صليب

رغم أن من العسيرِ

أن يصيرَ سريرُ امرأةٍ

رمزَ دينٍ جديد!

سُياح

زياراتُ العزاءِ

هي كلُّ ما ننالُ منهم:

يقرفصونَ في متحفِ الهولوكوست[٣]

يلبسونَ وجوهاً حزينةً عندَ حائطِ المبكى[٤]

ويضحكونَ خلفَ الستائرِ الثِقالِ

في فنادقِهِم.

سويةً يلتقطونَ الصورَ

مع موتانا المشاهيرِ

٣- المقصود هو المجمع التذكاري لضحايا الإبادة الجماعية (الهولوكوست) الذي أقيم في السفح الغربي لجبل هرتزل في أورشليم-القدس عام ١٩٥٣ ويضم نصبا تذكاريا ومتحفاً ومكتبات ومؤسسات بحثية ووثائقية ودار نشر الخ، ويعد ثاني أكثر المعالم السياحية ازدحاماً بالزوار والسائحين بعد حائط المبكى.

٤- حائط المبكى أو الحائط الغربي أو حائط البراق هو الحائط الذي يحد الحرم القدسي من الجهة الغربية، طوله نحو ٥٠م, وارتفاعه يقل عن ٢٠م. يعده اليهود آخر بقايا هيكل سليمان ويتمتع بمكانة كبيرة لدى كل من المسلمين واليهود.

في ضريحِ راحيلَ[٥] وضريحِ هرتزل[٦]

وتلِّ الذخائرِ[٧]

يبكونَ لأجلِ أولادِنا الرائعينَ

ويشتهونَ بناتِنا المتعافياتِ

ويعلِّقونَ ثيابَهُم الداخليةَ

كي تنشفَ سريعاً

في الحمّاماتِ الدافئةِ الزرقاء.

٥ - وهو (بحسب العهد القديم) المكان الذي ماتت فيه راحيل زوجة يعقوب وأم يوسف. ويوجد في ضواحي بيت لحم مبنى صغير يدعوه اليهود "قبر راحيل" والمسلمون "مسجد بلال بن رباح" وهو مكان يبجله المسيحيون أيضاً ويعد ثالث أقدس مكان يحج اليه اليهود.

٦ - كان تيودور هرتزل قد كتب في وصيته "أريد أن تضعوا جثماني في تابوت معدني الى جوار أبي -في فينا- وأن تظل بقاياي هناك حتى ينقلني الشعب اليهودي الى أرض اسرائيل" وهذا ما تحقق بعد ٤٥ عاماً حين أعيد دفنه في قمة "جبل الذكرى" وهو تل أعيدت تسميته باسم جبل هرتزل في القدس الغربية ليصبح المكان متحفا ومقبرة وطنية لإسرائيل.

٧ - وهو موقع عسكري محصن في القدس شاده البريطانيون اثناء انتدابهم لفلسطين، سيطر عليه الجيش الأردني عام ١٩٤٨ ثم جرت فيه معركة شرسة خلال حرب الأيام الستة (حرب حزيران) عام ١٩٦٧ خسر فيها الجانب الاسرائيلي ٣٦ جنديا والجانب الأردني ٧١ جنديا وانتهت بسيطرة اسرائيل عليه. أقيم فوقه وفي حصونه متحف وموقع تذكاري وزرعت فيه ١٨٢ شجرة زيتون تمثل الجنود الإسرائيليين الذين قتلوا خلال حزب حزيران ويزور الموقع سنويا حوالي ٢٠٠ ألف سائح.

أغنيةُ حب

هكذا بدأ الأمرُ:

فجأةً حلَّ في جوفي

شعورٌ من سرورٍ

وخفةٍ وانطلاق

مثلما تشعرُ حين يرتخي قليلاً

رباطُ حذائِك

وتنحني لشدِّهِ

ثم جاءت أيامٌ أُخَر

وها أنا الآن كحصانِ طروادةَ

أَمورُ بأشواقٍ مريعةٍ

تهربُ كلَّ ليلةً

وتعدو طليقةً هائجة

وتؤوبُ في الفجرِ

الى جوفيَ المظلم.

شموعٌ للتذكر

ثمةَ شموعٌ تتذكرُ أربعا وعشرين ساعةً في اليوم
هذا مكتوبٌ عليها.
وشموعٌ تتذكر ثمانيَ ساعاتٍ
وشموعٌ تؤمِّنُ انتقالَ
ذاكرةِ المرءِ لأبنائهِ.

أنا أسَنُّ من أغلبِ بيوتِ هذي البلاد
وأغلبِ غاباتِها،
لكنني ما زلتُ ذاكَ الصغيرَ
الحاملَ لوعاءٍ من سائلٍ نفيس
من مكانٍ لمكان
محاذِراً، كما في حلمٍ،
أن أريقَه،
خائفا من عقابٍ إن فعلت،
آملاً بقبلةٍ

عند الوصول.

بعضٌ من رفاقِ أبي
ما زالوا في المدينةِ
مشتَّتينَ كتذكاراتٍ
دونَ ألواحِ تعريفٍ.. ولا أساطير.

على كِبَر رُزِقتُ طفلةً
سيكونُ عمرُها عامَ ألفينِ
اثنينِ وعشرينِ عاماً
اسمُها مانويلا،
فليكن الربُّ معنا!

روحي محنَّكةٌ، مصنوعةٌ لتقاومَ التآكلَ
كمدرّجاتِ الجِبالِ
أنا رجلٌ يجيدُ البقاءَ
أنا رجلٌ متوسِّطٌ

أنا رجلُ الإبزيم!

نصائحُ لحبٍّ جيّد

نصائحُ لحبٍّ جيّدٍ: لا تعشقْ امرأةً

من مكانٍ بعيد.

اختَرْ واحدةً من الجِوارِ،

كما يَختارُ منزلٌ حكيمٌ

حجارةً محليّةً

تجمدَتْ من نفسِ البردِ

واكتوتْ وانشوَتْ بالشمسِ نفسِها.

خُذ واحدةً بإكليلٍ ذهبيٍ

يحيطُ بعينِها السوداء،

هذه عندها بعضُ علمٍ عن الموتِ.. موتك

كذلك اعشَقْها وسطَ الطلولِ

كما اجتنى شمشونُ العسلَ

من جثةِ الأسد[٨]

ونصيحةٌ لحبٍّ رديء:
ببقايا الحبِّ الذي يفضُلُ
من امرأةٍ سابقةٍ
اصنعْ لنفسِكَ امرأةً جديدة،
ثم، بما يفضُلُ من الثانيةِ،
اصنع حُبّا آخرَ
وهلمَّ جرّا الى النهايةِ
حتى تخلُصَ صفرَ اليدين!

٨- إشارة الى إحدى مغامرات شمشون حيث يعترضه وهو في طريقه لخطبة فتاة فلسطينية أسدٌ عظيم يقتله شمشون بكل سهوله ثم يكمل طريقه ويخطبُ الفتاة. وبعد فترة يذهب الى حفل الزفاف فيجد أن النحل قد سكن جثة الأسد وأنتج عسلا شهياً فيأكل منه شمشون ويعطي بعضه لوالديه.

سريعاً ومرّاً

سريعاً ومُرّاً كان الختامُ.

بطيئاً وحلواً مَرَّ الزمانُ

بطيئةً وحلوةً كانت الليالي

حين كانت يدايَ

لا تشتبكانِ في قُنوطٍ

ولكن في عشقِ جسدِكِ الذي

يرقدُ بينهما.

وحين اقتحمتُكِ بَدا كأنَّ السرورَ

يمكنُ أن يقاسَ

بِدِقَّةِ الألمِ الصارخِ.

سريعاً ومُرا.

بطيئةً وحلوةً كانت الليالي.

ها هي الآن مُرَّةٌ، طاحنةٌ كما الرملِ:

-"فلنكن عاقلينَ" ولعناتٌ مشابهة!

وإذ نَحيدُ عن الحبِّ

نُكاثِرُ الكلماتِ:

كلمات، جمل طوال منتظمات.

آهِ لو بقينا معاً،

لاستحَلنا الآن صمتاً!

يومَ رحلتُ

يومَ رحلتُ تفجَّرَ نبعٌ

ليَحقَّ القولُ المأثورُ: ظلامٌ، ظلام!

معاً تناولنا الغداءَ:

من أجلِ الصفاءِ نشروا ملاءةً بيضاءَ،

ومن أجلِ الشموعِ أوقدوا شمعةً.

أكلنا جيداً، وكنا نعرفُ:

أن روحَ السمكةِ.. في عظامِها الفارغة.

ووقفنا على البحرِ من جديد

وكان شخصٌ غيرنا

قد أَنجَزَ كلَّ شيء.

والحبُّ - ليلتانِ اثنتانِ

كطابعينِ نادرين.

لتمسيدِ القلبِ.. دون تحطيمه.

متخففاً أسافرُ، كصَلاةِ يهودٍ.

في بساطةٍ أقلِعُ، كلمحةٍ خاطفةٍ، أو تحليقٍ..

لمكانٍ آخرَ.

المطر الأول على سيارة محترقة

الموتُ جارُ الحياةِ
في هيكلِ سيارةٍ محترقةٍ
على جانبِ الطريق.

قطراتُ المطرِ على المعدنِ الصدِئ
تسمعُها قبل أن تحسَّ بها
على جلدِ وجهِك.

يجيءُ المطرُ، خلاصاً بعدَ الموتِ.
والصدأُ أخلدُ من الدمِ
وأجملُ من لونِ اللهيب.

مخفِّفُ الصدماتِ أهدأُ من أمواتٍ
لا يهدئونَ قبلَ وقتٍ طويل.

والريحُ التي هي الزمانُ

تتناوبُ والريحَ التي هي المكانُ

ويبقى اللهُ على الأرضِ، كرجلٍ

يظنُّ أنه نسيَ شيئاً

ويَمكُثُ حتى يتذكَّره.

وفي الليلِ، بوسعِكَ أن تسمعَ،

كلحنٍ رائعٍ،

الماكنةَ والرجلَ

في طريقهِما الوئيدِ

من النارِ الحمراءَ.. الى السلامِ الأسود

ومن هناكَ الى التاريخِ

ومن هناك الى علمِ الآثارِ

ومن هناك الى طبقاتِ الجيولوجيا الجميلةِ،

هذا أيضاً خلودٌ.. وسعادةٌ كبرى.

كقربانٍ بشريٍّ تحوَّلَ لقربانٍ حيواني

ثُم لصلاةٍ بصوتٍ عالٍ

ثم لصلاةٍ في القلبِ

ثم دونَ صلاة!

نسيانُ شخصٍ ما

نسيانُ شخصٍ ما
مثل نسيان إطفاء الأضواء
في الفناء الخلفي
لتبقى مُنارةً حتى النهار التالي

لكن النور عندها
هو الذي يذكِّرُك!

قصيدة مؤقتة لزماني

العبريةُ والعربيةُ تُكتَبان

من اليمينِ لليسار،

و تُكتَبُ اللاتينيةُ.. من اليسارِ لليمين.

اللغاتُ كالقططِ،

فلا تمسِّدْ شعرَها

في الاتجاهِ الخاطئ.

من البحرِ تأتي الغيومُ

من الفيافي تهبُّ السَّمومُ،

ينحني للريحِ الشجرُ

وتطيرُ الأحجارُ من الأربعِ الرياحِ

الى الأربعِ الرياح.

إنهم يقذفونَ الحجارةَ،

يتقاذفونَ هذي البلادَ

لكنها تسقطُ عائدةً الى الأرض.

إنهم يقذفونَ البلادَ، يريدونَ التخلصَ منها،

من حصاها، من ترابها

لكنهم لا ينجحونَ.

إنهم يقذفونَ الحجارةَ،

يقذفونَ عليَّ الحجارةَ

في ١٩٣٦، ١٩٣٨، ١٩٤٨، ١٩٨٨،

يقذفُ الساميونَ الساميينَ،

وأعداءُ الساميينَ أعداءَ الساميينَ

يقذفُ الأشرارُ والأبرارُ

يقذفُ الأوغادُ ومن يغويهم

يقذفُ الجيولوجيونَ واللاهوتيونَ

يقذفُ الآثاريونَ ومثيرو الشغبِ،

تقذفُ الكُلى الحصى، وكذاكَ المرارةُ:

حجرٌ للرؤوسِ ، حجرٌ للجِباهِ، وقلوبٌ من حجر،

حجرٌ مثل أفواهٍ صارخاتٍ

وحجرٌ يناسبُ عينيكَ

مثل زوجٍ من النظّارات.

يقذفُ الماضي الحجارةَ على المستقبلِ

وكلها تهوي على الحاضرِ.

حجارةٌ باكيةٌ، وحصى ضاحكةٌ.

والربُّ نفسُه، في التوراةِ، يقذفُ الحجارةَ

حتى اليوريم والتوريم[٩] قُذِفتا

والتصقتا بدرعِ العدالةِ[١٠]

هيرودسُ أيضا قَذفَ الحجارةَ [١١]

٩ - وتعني في لغة التوراة (النور والكمال) وهي أداة يسخرها الرب لبعض مختاريه لتلقي الوحي وترجمة الحديث.

درع العدالة: رداء مرصع بالجواهر كان يرتديه الكاهن الأكبر عن اليهود.

هيرود أو هيرودس ٧٣ قبل الميلاد - ٤ قبل الميلاد. أحد أشهر ملوك اليهودية. وقد بسط نفوذه على المنطقة الممتدة من هضبة الجولان شمالا إلى البحر الميت جنوبا، وكانت ايام حكمه تمثل ازدهاراً ثقافياً واقتصادياً، وقد كان حليفاً أميناً للإمبراطورية الرومانية، وتمثل الثقافة اليونانية الرومانية في أعماله، وتعرض لمعارضة شديدة من قبل بعض المجموعات اليهودية. كان مقره في مدينة القدس-أورشليم، وقد اشتهر بمشاريع البناء الفاخرة التي بادرها في هذه المدينة، ومنها بناء معبد القدس الكبير المسمى هيكل سليمان.

وكان الهيكلُ النتيجةَ.

آهٍ لقصيدةٍ عن حزنِ الحجارةِ

آهٍ لقصيدةٍ قُذِفت على الحجارةِ

وآهٍ لقصيدةٍ من حجارةٍ مقذوفة!

هل في هذي البلادِ

حجارةٌ لم تُقذف أبداً

ولم تُبنَ ولم تقلَّبْ

ولم تعرَّ ولم تُكتشَفْ

ولم تصرخْ من جدارٍ

ولم تُنبَذ من البنائيينَ

ولم تغلقْ قبراً

ولم ترقدْ تحتَ عاشقينِ

ولم تصبحْ حجرَ زاوية؟

أرجوكم

لا تقذفوا مزيداً من حجارةٍ

أنتم تزحزحونَ الأرضَ

الأرضَ المقدَّسةَ، الكاملةَ، المفتوحةَ

إنكم تحركونها صوبَ البحرِ

والبحرَ لا يريدها

البحرُ يقولُ: لا، ليس فيَّ.

أرجوكم اقذفوا صغارَ الحجرِ،

اقذفوا القواقعَ،

اقذفوا ناعمَ الحصى،

والعدالةَ والظلمَ من محاجرِ مكدال تسيديك[١٢]

اقذفوا حجارةً ناعمةً، حفناتِ طينٍ جميلةً

اقذفوا حجارةَ جيرٍ، اقذفوا صلصالاً

اقذفوا رملَ شواطئَ

اقذفوا غبارَ صحارى

اقذفوا صداً

١٢ - وتعني حرفيا (قلعة العدالة) متنزه وطني أقيم في موقع خرائب قلعة ميرابل الصليبية التي اقيم فيها بناء يعود الى الحقبة العثمانية. يعتقد أن المكان كان في الأصل حصنا استخدمه اليهود في ثورتهم ضد الرومان (٦٦-٧٠ م)

اقذفوا تراباً، اقذفوا ريحاً،

اقذفوا هواءً، اقذفوا لا شيءَ

حتى تكلَّ أيديكم

وتكلَّ الحربُ

ويكلَّ السلامُ..

يكلَّ ويحلّ.

الحديقة الصغيرة

الحديقةُ الصغيرةُ التي زُرِعتْ

في ذكرى صبيٍ سقطَ في الحربِ

صارتْ تشبهُهُ حين كانَ

قبلَ عشرينَ عاماً.

سنةً بعد أخرى

يزدادُ بينهُما الشبَهُ،

وفي كلِّ يومِ يجيءُ والداهُ

يقتعدانِ مصطبةً

وينظرانِ اليه.

في كلِّ ليلةٍ

تُهمهِمُ الذكرياتُ في الحديقةِ

مثل محرِّكٍ صغيرٍ

لكنكَ في النهارِ.. لا تسمعُ شيئاً!

سائحة

أرَتني شعرَها يتعطَّفُ وينطوي

في رياحِ مقدَمِها الأربع.

فأريتُها حيلةَ القفلِ[١٣]

وبعضاً من دروبِ حياتي المنطوية.

سألَتني عن شارعي وبيتي

فأطلقتُ ضحكةً عالية.

أرتني هذا الليلَ الطويلَ

وباطنَ سِنيِّها الثلاثين

وأريتُها موضعَ التفلين[١٤] الذي

لبستُه يوماً.

١٣ - نوع من الألغاز الميكانيكية تتكون من قفل يتطلب فتحه مهارة وخفة يد سحرية

١٤ - التفيلّين تميمة مكونة من صندوقين من الجلد الكوشر يشد أحدهما تحت الابط الأيمن ويربط بحزام مما يلي مستوى القلب, والثاني يربط على الجبهة، يلبسان عند الصلاة و يحتويان على نصوص من التوراة.

جلبتُ لها أمثالاً وآياتٍ

ورملاً ملوناً من إيلات[15]

وما وَهبَ موتي مِن مَنٍّ وتوراةَ

وكلَّ ما بجوفي من معجزاتٍ لا تُشفي.

وعرضَتْ عَليَّ

مراحلَ الفرحِ والرجوعِ الى طفولتِها.

وكشفتُ لها أنَّ داودَ الملكَ

لم يُدفَنْ في قبرِه[16]

وأني لم أعِشْ حياتي..

وصدَّقَتني..

ساكناً كنتُ أجلسُ

---

١٥ - مدينة إسرائيلية بنيت عام ١٩٥٢على ساحل خليج العقبة بين مدينة العقبة الأردنية من الشرق وبلدة طابا المصرية من الغرب. ,فيها معبران حدوديان مع كل من مصر والأردن كما تضم ميناء ومنطقة سياحية كبيرة نسبيا مكونة من فنادق ومنتزهات

١٦ - هناك خلاف شديد بين مختلف الأوساط الدينية والتاريخية والآثارية حول المكان الحقيقي لقبر النبي داود وهل هو في الموضع المسمى بمقام النبي داود في جبل صهيون في القدس أو في "مدينة داود" أو في بيت لحم أو في مكان آخر

كدجاجةٍ تحضنُ بيضَها

وكانت هيَ تأكلُ.

وخارطةُ المدينةِ مفروشةٌ على المائدة:

راحَتُها فوقَ قَطمون[١٧]

وراحتي فوقَ راحتِها

والكوبُ الكبيرُ يغطّي البلدةَ القديمةَ

والرمادُ يتناثرُ على فندقِ الملكِ داود[١٨]

آلامُ أجدادِنا درَّعَتْنا

والنحيبُ القديمُ.. حَلَّ سراويلَنا!

١٧ - قطمون:حي عربي وسط القدس قطنته غالبية مسيحية وبنت فيه عدة منازل فخمة وفنادق وكنائس. كان مسرحا لمعارك عنيفة في حرب ١٩٤٨ وشهد في السنة نفسها عملية الاغتيال الشهيرة لوسيط الأمم المتحدة برنادوت على يد تنظيم الليهي اليهودي السري.

١٨ - فندق فخم في وسط المدينة بناه الصيرفي المصري اليهودي "عزرا موصيري" وعدد من شركائه افتتح عام ١٩٣١، ولعب دوراً مهما في تاريخ المنطقة حيث نزل فيه الكثير من زعماء وملوك العالم كما اتخذ البريطانيون من جزء منه مقراً عاماً لسلطات الانتداب، وقد شهد الفندق عام ١٩٤٦ تفجيرا ارهابيا كبيراً نفذته ميليشيا الإرغون اليهودية راح ضحيته العشرات من القتلى والجرحى.

عشقُ أورشليم

ثمة شارعٌ لا يبيعون فيه
غيرِ اللحومِ الحمراءَ
وشارعٌ لا يبيعون فيه
سوى العطورِ والثياب.
ثمة يومٌ لا أرى فيه
غير المقعدينَ والعميان
والمتسربلينَ بالجذامِ والشلل
ومن التوَتْ منهم الشفاه.

هنا يشيدون بيتاً
وهناك يبنون
هنا يحفرون في الأرض
هناك يحفرون في السماء
هنا يجلسون وهناك يمشون
هنا يكرهون .. وهناك يعشقون

لكن من يعشقُ أورشليمَ

مستعيناً بكتاب إرشادٍ سياحي

أو كتاب للصلوات

كمثلِ من يعشقُ امرأةً

مستعيناً بدليلٍ لأوضاعِ الجماع.

طفلي يضوعُ بالسلام

طفلي يضوعُ بعطر السلام.

في كل مرةٍ أنحني فيها عليه

لا أشم فقط عطر الصابون.

كل الناس كانوا يوماً

صغاراً تفوح منهم رائحة السلام

(وفي كل الأرض

لم تبقَ رحى تدور)

آهٍ.

تتمزق الأرض كثيابٍ

لا تصلح للرتقِ.

صمتٌ قاسٍ لا أطفال فيه

آباءٌ يشعرون بالوحدة

حتى في كهف مَخبِلا [١٩]

طفلي يضوعُ بالسلام.

رحمُ أمهِ وعَدَهُ

بما لا يقدرُ الله

أن يعدنا به.

١٩ - كهف الآباء أو كهف مَخبِلا (وتعني كهف القبور المزدوجة) ويدعى عند المسلمين الحرم الإبراهيمي: سلسلة من الحجرات تحت الأرضية في قلب مدينة الخليل يقال أن النبي ابراهيم قد أشترى أرضها لتكون مقبرة له ولذريته وأزواجهم المدفونين فيها.

سلامٌ جامح

ليس ذاك السلام الذي يجلبه

وقف إطلاق النار،

ولا حتى رؤيا الذئبِ والحمَل،

بل كما في القلب

حين ينتهي الاهتياج ولا

يبقى سوى التعب العظيم.

أعرفُ أنني أعرفُ كيف أقتُلُ،

هذا ما يجعلني بالغاً.

ويلعبُ ولدي بلعبة مسدسٍ

تعرف كيف تفتح عينيها وتغلقهما

وتقولُ: ماما.

سلامٌ

دون الضجيج الصاعد من قرع السيوف

بشفرات المحاريث،

دون كلماتٍ،

دون الصوت المكتوم

لارتطام الختم المطاطي الثقيل.

ليكن خفيفاً، طافياً، كرغوة بيضاء كسول.

استراحة قصيرة للجراح - من تحدَّثَ عن الشفاء؟

(وتمرُّ ولولةُ اليتامى من جيلٍ لجيل

كما في سباق التتابع:

ولا تسقط العصا قَطُّ)

فليأتِ

كزهرةٍ برية،

فجأةً، فالحقولُ تريدهُ:

سلامَ البراري الجَموح.

رسالة

أن تجلسَ في شرفةِ فندقٍ يأورشليمَ
وتكتبَ "حلوةً تمر الأيام
من الصحراء للبحر
وتكتبَ "هنا تجف الدموع سريعاً، وهذه اللطخة
هي دمعةٌ أسالت الحبر"
هكذا كانوا يكتبون في القرن الماضي
"قد رسمتُ حولها دائرةً صغيرة"

ويمر الوقت كما يحدث عندما
يضحك امرؤٌ ما
أو يبكي على الهاتف
من مكانٍ بعيد:
لا أرى، مهما سمعتُ.
لا أسمعُ، مهما رأيتُ.

لم نكن حذرين حين قلنا "في العام القادم"

أو "قبل شهر

هذه الكلمات مثل زجاج مكسور:

قد تجرحين به نفسك

أو تشرطين شرياناً، إن كنتِ بهذه الشاكلة.

لكنكِ كنتِ جميلة مثل تعليق

على نَصٍّ قديم.

فائضُ قيمةِ النساء في بلادك البعيدة

جاء بكِ إليَّ،

لكن قانونَ احتمالاتٍ غيره

أخذكِ مني.

أن تحيا معناه أن تبني

سفينةً وميناءً بنفس الوقت،

وأن تنهيَ الميناءَ بعد وقت طويل

من غرق السفينة.

وختاماً: أتذكر فقط

أنها كانت شديدة الضباب.

وما عساك تتذكر

إذا كنت تلك.. طريقتك في التذكر؟

كجدار منزلٍ داخلي

كجدار منزلٍ داخلي

يصير بعد الحروب والدمارِ

جداراً خارجياً-

هكذا، فجأةً

وجدتُ نفسي، باكراً في الحياة.

ونسيتُ، تقريباً،

معنى أن تكون بالداخل.

الأمر ما عادَ مؤذياً، ما عدتُ أحب.

والقريب والبعيد

كلاهما صارَ نائياً

نائياً بالقدر نفسه.

لم أتخيل يوماً ما يحدثُ للألوان.

نفسُه يحدث للبشر:

زرقةٌ ساطعةٌ تنعَسُ

في ذاكرةِ زرقةٍ غامقة وليلٍ حالك،

شحوبٌ يتنهدُ خارجاً من حلمٍ قرمزي.

نسمةٌ تحمل روائح بعيدات

لكنها، نفسها، دون رائحة.

وتموت أوراق البصل البري[٢٠]

قبل أوراقه البيض التي

لا تعرف خضرة الربيع والحب القاتم.

أرفع عيني الى التلال. الآن أعرفُ

معنى أن ترفع عينيك

وأي عبء ثقيل هو.

لكن هذه الأشواق العنيفة، وهذه الآلام،

آلام أن لا تعود أبداً.. الى الداخل.

٢٠- أو الباصول: نبات بري من الفصيلة الهليونية يظهر في بدايات الخريف مع المطر الأول وينمو في منطقة غرب حوض البحر الأبيض المتوسط والمشرق العربي وبعض مناطق إفريقيا.

أبي في بزّة فضاء بيضاء

أبي، في بزّةِ فضاءٍ بيضاءَ

يجول في المكان

بخطوات الميتين الخِفاف الثقال

على سطح حياتي التي لا تمسك بشيء.

أنه يسمي لي الأشياء:

هذه "فوهةُ الطفولةِ البركانية" ،

هذا غورٌ عميق،

وهذا جرى يوم تثبيتك[٢١]

هذه قمم بيضاء، وهذا صوتٌ عميق

من ذلك الوقت.

إنه يجمع العيّناتِ، ويدسّها في ملابسه:

رملٌ، كلماتٌ، أحجار أحلاميَ المتنهدة.

٢١- أو (با متسفاح) احتقال يقام في الكنيس للأولاد بمناسبة بلوغهم الثالثة عشرة من العمر (سن التكليف الشرعي

أنه يمسح السطح

ويرسم الحدود. يسميني كوكبَ أشواقه

وأرضُ طفولتي، طفولته، طفولتنا معا.

"تعلَّم يا ولدي عزفَ الكمان،

حين تكبر ستساعدك الموسيقى

في لحظات الوحشة والألم العسيرة"

هذا ما قاله لي ذات يوم

لكنني ما صدَّقتُه.

ثم يطفو، لا أعرف كيف يطفو في الهواء

داخلا في أسى موته الأبيض السرمدي.

رسالة توصية

في ليالي السبت في أورشليم
أنام عاريا وسريري
منصوبٌ على شفا وادٍ سحيق
دون أن أتدحرج نحوه.

في النهار أتسكع
وعلى شفاهي الوصايا العشر
كلحنٍ قديم يدندن به المرء لنفسه.

آهٍ، المسيني، المسيني يا امرأتي الصالحة!
هذا الذي تتحسسيه تحت قميصي
ليس ندبةً.
إنها رسالةُ توصيةٍ من أبي
مطويةٌ بإحكامٍ:
"إنه، على كل حال،

ولدٌ طيبٌ ومليء بالمحبة"

أتذكرُ أبي حين يوقظني للصلاة الباكرة.
بأن يربت في لطفٍ على جبيني
ولا ينزع عني اللحاف ويرميه.

من يومها أحببته أكثر فأكثر.
فليكن أجره على ذاك
أن يوقَظ في رقةٍ وحب
يومَ يُبعثون.

لا تقدرُ المياه أن تعودَ نادمةً

ليس في وسع المياه

أن تعلنَ التوبة وتعود.

والى أين تعود؟

إلى الحنفية، المنابع، الأرض، الجذور؟

الى الغيم، الى البحر، الى فمي؟

ليس في وسع المياه

أن تعلن التوبة وتعود.

فكل مكانٍ هو بحرُها/ أيامُها الخوالي،

مياهها الغابرات.

كل مكانٍ بدايةٌ، نهايةٌ، وبداية.

كذبة السبت

ذاتَ جمعةٍ
في غسقِ يومٍ صيفي
وروائح الطعام والصلوات تصعد من كلِّ بيت
وأجنحةُ ملائكة السبت
يتخلل صوتها الهواء،
يومَ كنتُ طفلاً
بدأتُ أكذبُ على أبي:
"قد صلّيتُ في معبدٍ آخر"

لا أدري إن كان صدقني
لكن طعم الكذبة كان حلواً
ولذيذاً على لساني.
في تلكم الليلة، من كل البيوت
كانت الترانيم تصعد في رفقة الأكاذيب
لتحتفي بالسبت

وفي تلكم الليلة، من كل البيوت

كانت ملائكة السبت تموت

كما الذباب حول المصابيح،

ويطبق العاشقون فماً على فم

ينفخ بعضهم البعض حتى يرتفعوا في الهواء..

أو ينفجروا.

قصيدة بلا نهاية

داخلُ هذا المتحفِ الجديد تماماً

ثمة معبدٌ قديم

داخل المعبد

أنا.

داخلي

قلبي.

داخل قلبي

متحفٌ

داخل المتحف

معبد.

داخله

أنا.

داخلي

قلبي

داخل قلبي

متحف.

المكان الذي نحن فيه محقّون

من المكان الذي

نحن فيه على حق

لن تنمو الأزهار في الربيع.

المكان الذي نحن فيه محِقّون

قاسٍ، صلَّبَ الوطءُ أرضه

كساحةٍ أو فِناء.

بيدَ أن الحبَّ والشكوك

تحفر الأرض

مثل خُلد أو محراث.

ولسوفَ تسمعُ همساً في المكان الذي

انتصب فيه ذات يومٍ

المنزلُ المدمَّر.

إيكولوجيا أورشليم

الهواءُ فوقَ أورشليم

مشبعٌ بالأحلام والصلوات

كما الهواء فوق المدن الصناعية

حتى يصعب التنفس.

ومن حينٍ لحين

تصلُ شحنةٌ جديدةٌ من التاريخ

مواد تغليفها من بيوت وأبراج.

سترمى لاحقاً في الأزبال

وتكوّم في تلال من قمامة.

أحياناً تصل الشموع بدلَ البشر

ثم يحل الهدوء.

وأحياناً يصل البشر بدل الشموع

فيعمُّ الضجيج.

وفي حدائق مسوَّراتٍ

تطفحُ بعطر الياسمين

ترقد قنصليات أجنبية

مثل عرائس كريهاتٍ منبوذات

بانتظار لحظاتها المناسبة.

أورشليم ملآى باليهود المُتعَبين

أورشليم ملآى بيهودٍ مستعمَلين
أبلاهم التاريخ،
اليهود سلعٌ مستعمَلة، متضررة قليلاً،
بأسعارٍ متهاودة.
والأعينُ شاخصات
تائقات أبداً الى جبل صهيونَ.
وأعين الأحياءِ والأموات
مكسورةٌ كقشور بيض على حافة الوعاء
ليجعلوا المدينةَ منتفخة، دسمةً ودهينة.

أورشليمُ ملآى بيهودٍ مُتعَبين
يُنخسون مرة بعد أخرى
صوب العطلات والأعياد والأيام الوطنية
مثل دببة السيركات الراقصة

على سيقانٍ موجَعة.

ما الذي تحتاجه أورشليمُ؟ إنها
لا تحتاج عُمدةً
أنها تحتاج مديرَ حلبةٍ في يده سوطٌ
قادراً على ترويض النبوءات
وتدريب الأنبياء على الجري في دائرةٍ
وتعليم شواهد أضرحتها أن تصطف
في تشكيلٍ مُخاطرٍ جَسور
لأجل عرض الختام الكبير.

لاحِقاً سيقفزون
عائدين من جديد
على صوتِ الحروب والتصفيق.

والعينُ تشخصُ الى جبلِ صهيون
وتذرف الدموع.

أورشليم لعبةُ أحصنةٍ دوّارة

أورشليم لعبةُ أحصنةٍ ، تدور وتدور
من المدينة القديمة ، خلال الأحياء كلها،
عائدة الى المدينة القديمة.

ولن تستطيع النزول:
إن قفزتَ تخاطرُ بحياتك
وإن ترجَّلتَ عند توقفها
ستضطر للدفع من جديدٍ
كي تعود لأجل المزيد
من دوراتٍ لا تنتهي.

بدلاً من أحصنةٍ وأفيال ملونةٍ للامتطاء،
تصعد الأديان وتنزل
وتدور حول محورها

على وقع ألحانٍ مُداهنةٍ
من أفراس الصلاة.

أورشليمُ لوحُ تأرجحٍ: أنزلُ أحياناً
نحو أجيالٍ سابقة، وأحياناً
أصعد للسماء.
ثم، وكمثلِ طفلٍ في الطرف الأعلى
تدلى وساقاه يخبطان الهواء،
أبكي، أريد النزول:
أبي يا أبي، أريدُ النزول،
أنزلني أنزلني يا أبي!

هكذا يصعد القديسون جميعاً الى السماء.
ومثل الأطفال يصرخون:
أبي، أريد البقاء في الأعلى،
لا تنزلني لا تنزلني يا أبي
يا أبانا، يا مليكنا،

أبقِني في الأعالي

يا أبانا، يا مليك!

ذكريات متوحشة

أفكرُ هذه الأيام بالريح إذ تعبث بشعرك
وبأعوامي التي سبقت مجيئك في هذا العالم
وبالأبدية التي أسبقك اليها.

وأفكر بالرصاصات التي لم تقتلني،
ولكن قتلت رفاقي-
أولئك الأفضل مني لأنهم
لم يواصلوا الحياة.

وأفكر فيك إذ تقفين في الصيف
عاريةً أمام المدفأة
أو وأنت تنحنين على كتابٍ
كي تحسني قراءته
في أواخر ضوء النهار.

نعم، كان عندنا أكثر من الحياة.

والآنَ علينا أن نوازن كل شيء

مع الأحلام الثِقال،

ونطلق الذكريات المتوحشة

على ما كان مرةً.. هذا اليوم.

هيروديون[٢٢]

أسافرُ عبر الصحراء

الى موقع غارقٍ في القدم

لأجلس هناك، في شمس الشتاء

قرب أطلال البروج التي

حرست مسرّات الملك.

وكمثلِ سكّينٍ تقشّرُ فاكهةً مستديرة

أشعر بحراك الزمن إذ يدور ويدور.

في أحلامي يلتقي الأموات والأحياء

كمبعوثي أمتين عدوّتين

٢٢ - هيروديون أو جبل فريديس أو جبل الإفرنج هو مرتفع صناعي مخروطي الشكل كالبركان يقع شرقي مدينة بيت لحم ويشرف على مدينة القدس(أورشليم) ومنطقة الأغوار وما حولها ،أقامه هيرودوس الكبير (٧٢ - ٤ ق.م) أواخر القرن الأول قبل الميلاد وجعله حصناً منيعاً محاطاً بخندق يملأ بالماء وسور مستدير حول المنطقة بني بالحجارة الضخمة وأقيمت فيه أبراج للمراقبة، وبنى حوله مدينة أطلق عليها اسم (هيروديا) ، وزينها بعدد من الحدائق وبرك السباحة

في بلدٍ ثالث.

وجهي وجه المغزيّ

مصبوغاً بألوان الغازي.

هادئٌ أنا: ما يغادرنا لا يلحق من فوره

بالصخور والصحراء.

ثمة أشياءٌ وسطيّةٌ، محطاتٌ،

مثل المسافةِ، الصدى، والظلام،

اليدِ.. والحدائق.

بداية العام المدرسي

هنا، في القاعة الرياضية الكبيرة،

يقفون معاً: الآباء والبنون،

وكلهم في منتصف الطريق الى الحقيقة.

كلهم يقف ماء البكاء فيهم

عند نفس المستوى.

كلهم في خطوط مستقيمة

وسطُ سلالم الأشغال الشاقة

وتحت حبال تعذيب

وحلقات من ضوءٍ تسخين يستقتلون للتعلق بها.

صوتُ غنائهم الصاعد للسقف

والضوء القادم من الخارج

سويّةً، مع النوافذ الطوال،

تصنع دوامات من مستقبلٍ مجهول.

المديرُ، كهلٌ في امتلاء الأطفال،

يلقي خطبةً بصوتٍ متعَب.

فجأةً، في الصمت الذي بين جملتين،

تسقطُ بندقية على الأرضية التي تردد الصدى.

ويندفعُ الصغار هاربين الى الساحة الكبيرة

وصرخاتهم تملأ الكون

في صرخات الصغار ثمة دائماً

شيءٌ من صراخ كل بكرٍ ذبيح

في بلاء أهل مصر.

٢٣- وقال موسى هكذا يقول الرب اني نحو نصف الليل اخرج في وسط مصر. فيموت كل بكر في ارض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الجارية التي خلف الرحى وكل بكر بهيمة. ويكون صراخ عظيم في كل ارض مصر لم يكن مثله ولا يكون مثله ايضا !! (سفر الخروج-الاصحاح الحادي عشر)

لا مثل سروةٍ

لا مثل شجرة سرو،

لا الكلُّ دفعة واحدة،

لا كل شيء مني،

لكن كما العشب في ألوفٍ

من مخارجَ حذرات،

أختبئ مثل أطفال كثر

وواحد منهم.. يفتش [٢٤]

ولا كرجلٍ وحيد،

كمثلِ شاؤول الذي عثرت عليه الجموع

ونصبته ملكاً.

بل كمطرٍ في بقاعٍ عديدة

من غيومٍ كثيرات، لتمتصه، تشربه

٢٤- إشارة الى لعبة الاختفاء أو الغميضة (الاستغماية) التي يلعبها الصغار.

أفواهٌ كثيرات

ليدخل الصدور كما الهواء

العامَ برمّته،

ويُنثَرَ كما ازدهار الربيع.

لا كالجرس الصارخ الذي

يوقظ الأطباءَ الخفرين،

بل في تربيتٍ وديعٍ

على عديد من نوافذ صغيرات

في المداخل الجانبية

تصحبه دقاتٌ قلبٍ كثيرات.

ثم رحيلٌ هادئ، مثل دخان

دون نفخات صور.

كرجلُ دولةٍ يستقيل،

كطفل متعّبٌ من اللعب،

كحجر يكفُّ عن التدحرج

نازلاً من التلّ الشاهق،

حتى يتوقّف في المكان الذي

يبدأ فيه سهلُ الزهد العظيم،

ويصعد منه التراب

في ألوف مؤلفةٍ من ذراتٍ،

كأنها أدعيةٌ مستجابة!

قصائد ربيع في جبال الأبالاش[٢٥]

١.

ما كان لي أن أظلّ طويلاً، متسكعاً

عند هذي البحيرة،

مثلما لم أحظ بالتسكع

في أماكن كثيرة أردت التسكع فيها.

أمنياتي ترهقني أكثر من فعالي،

وما أدمنتُ يوماً على مكان.

حتى إنني ما فُطِمتُ.

أن تفطم مرة بعد مرةٍ يعني أن تحيا.

والموت وحده يخلقُ الاعتياد.

٢٥ - جبال الأبالاش هي السلسلة الجبلية العظمى التي تمتد على طول الجانب الشرقي من قارة أمريكا الشمالية وكانت لوقت طويل حاجزاً طبيعيا كبيراً أمام امتداد الاستيطان الأوربي في وسط القارة وغربها.

.٢

اليوم أبصرتُ آثارَ الثلجِ الأخير

في زاوية جدار،

في ممرٍّ بين الممرات،

في الأيام القلائل بين انتهاء الشتاء

وابتداء الربيع.

الوجعُ القديمُ ما عاد يؤلمُ، والجديدُ

لم يبدأ بعدُ بالإيلام.

وأنا ما زلتُ بين أشياء

تستطيع قياسها بالخطوات

أو بدقات القلب والساعات.

المرءُ في شبيبته

يريد أن يصبح نهراً.

لكن عرض حياتي يخيفني، فالأنهار

تعرَضُ كثيراً كثيراً.. عند النهايات.

.٣

في الوادي الآخر كانوا يقنصون ويصيدون.

وكنا ننتظر أصوات ارتطام الطيور الساقطة.

بحيرة عالية تصب في مهلٍ ماءها

في أخرى أدنى منها

وكان الأخذ والعطاء مستمراً في الغابة الأخرى،

حفيف نقاشٍ عن كل هذا.

أن تعثر على ذهبٍ في يوم كهذا: لا أعني المعدن.

وثانيةً أتنفسُ الهواء الشفيف، مثل جرسٍ

يتنفس الزمان الدقيق، الشفيف.

٤.

ويقول لك الناس: "تعال الى هنا في الصيف،

عليك أن تكون هنا في الخريف"

الفصل الذي يليك

هو الأجمل على الدوام.

وتجد نفسك عند النوافذ كيما تقرر،

متسائلاً: أين أنت الآن، أين تستيقظ غداً.

وتمر بك الأماكن.

لا تملك أن تختار؛ البضائع تختارك:

هذا الرجل سيشتريني،

وسأكون موته!

٥.

في اتفاقٍ صامت، نحطُّ على ارتفاعات مختلفة

في المدينة المجهولة

حيث يلتقي نهران

مثل دبلوماسيَّينِ قادمانِ لتوقيع معاهدة

أو لفسخِ شراكةٍ.

نحن نمكث أكثر في الأماكن التي

أردنا ألا نطيل البقاء بها.

ونتخيل أن هذا سيمطُّ يومنا..

نتخيل!

أشرعة.. أشرعة

ثمة أيامٌ هنا يستحيل فيها كل شيء

الى أشرعةٍ، ومزيد من أشرعة،

حتى إن لم يكن بحرٌ بأورشليم، بل ولا نهر.

كل شيءٍ أشرعة: الأعلام، شالات الصلاة،

المعاطف السود، أردية الكهان، والجلابيب والكوفيات،

ثياب الصبايا وأغطية رؤوسهن،

عباءات التوراة وسجاجيد الصلاة،

والمشاعر التي تنتفخ في الريح،

والآمال التي تبحر بها في اتجاهات أخرى.

حتى يدا أبي، مشرعتان في مباركةٍ،

ووجه أمي المستدير، وموت "روث" البعيد

كلها أشرعةٌ، أشرعةٌ في سباق الزوارق الباهرِ

في بحرَي أورشليمَ:

بحر الذكرى

وبحر النسيان.

(من أورشليم، أورشليم، لماذا أورشليم؟)

مصادر ومراجع

بالإنكليزية:

Yitzhak Laor: What the Womb Promises, Shirei Yehuda Amichai, http://www.haaretz.com/jewish/books/what the womb promises 1.130720

2- https://en.wikipedia.org/wiki/Yehuda Amichai.

3- Robert Alter: Only A Man, Yehuda Amichai, The Making of Israel's National Poet, https://newrepublic.com/article/63756/only-man

4- Adam Seelig: Introduction to "Killing Him," a radio play by Yehuda Amichai, Poetry Magazine, July-August 2008, http://www.poetryfoundation.org/poetrymagazine/article/181732

5- Yehuda Amichai criticism. Enotes.com , http://www.enotes.com/topics/yehuda-amichai/critical-essays/amichai-yehuda

6- EVER E. F. SANCLEY: The Manifestations of Cultural Memory in the Poetry of Yehuda Amichai, The NEHU Journal, Vol XI, No. 1, January 2013, pp. 55-65, ISSN.0972-9406, http://www.nehu.ac.in/Journals/JournalJan13_Article5.pdf

7- Leon Wieseltier: Songs of Jerusalem and Myself by Yehuda Amichai, https://www.commentarymagazine.com/articles/songs of jerusalem and myself by Yehuda amichai/

8- MEL GUSSOW: Yehuda Amichai, Poet Who Turned Israel's Experience Into Verse, Dies at 76, http://www.nytimes.com/2000/09/23/us/

9- Glenda Abramson: The writing of yehuda amichai, State

University of New York Press 1989.

10- The Selected Poetry Of Yehuda Amichai, Edited and Translated from the Hebrew by CHANA BLOCH, STEPHEN MITCHELL, University of California Press 2013.

11- R Omer-Sherman, Yehuda Amichai's Exilic Jerusalem, https://www.as.miami.edu/personal/rosherman/Amichai%20Prooftexts.pdf

12- Poemhunter.com Yehuda Amichai Poems, http://www.poemhunter.com/i/ebooks/pdf/yehuda_amichai_2004_9.pdf

13- STEPHEN KESSLER: Theology for Atheists, Yehuda Amichai's poetry of paradox,
the Northern California Bohemian, October 12-18, 2000.

14- Tim Elisson: Discovering the Poetry of Yehuda Amichai. http://blog.pshares.org/index.php/discovering-the-poetry-of-yehuda-amichai/

15- Diane Cole: The Reinvention Of Yehuda Amichai, http://www.thejewishweek.com/blogs/reinvention_yehuda_amichai

16- Orna Raz : The Man Sitting Next To The Roman Arch: Yehuda Amichai, http://blogs.timesofisrael.com/the-man-sitting-next-to-the-roman-arch-yehuda-amichai/

17- http://www.britannica.com/biography/Yehuda-Amichai

18- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D8%A8_%D8%B9%D8%A8%D8%B1%D9%8A

19- Jonathan Wilson: The God of Small Things-Yehuda Amichai's poems capture the joy of ordinary experience, The New York Times, December 10, 2000.

بالعربية

١ برنارد فرانك: نظرة على الشعر العبري الحديث، ترجمة تمام التلاوي، http:// html.٠٥_blog-post/٠٩/٢٠٠٨/tarjamattammam.blogspot.com

٢. صلاح حزين-يهودا عميحاي "رئيس أركان" الشعر الإسرائيلي الحديث-جريدة الحياة العدد ١٣٧٩ في ٢٠-١٢-٢٠٠٠

٣. كارم محمود عزيز: الأسطورة والحكاية الشعبية في العهد القديم، القاهرة ٢٠٠١.

٤. كارم محمود عزيز: البطولة والبطل في أسفار المقرا، القاهرة ٢٠٠٦.

٥. رشاد الشامي: متاهات الأدب والفكر الإسرائيلي، القاهرة ٢٠٠٦

٦. رشاد الشامي: عجز النصر الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، القاهرة ١٩٩٠.

٧. رشاد الشامي: تفكيك الصهيونية فى الأدب الإسرائيلي، القاهرة ٢٠٠٢.

٨. عادين شتينزلتس: معجم المصطلحات التلمودية، القاهرة ٢٠٠٦.

٩. محمد عبد الدايم: شعر الاحتجاج في إسرائيل الملامح والسمات والقضايا، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد ٥٠، يناير ٢٠١١.

علي سليمان: العنف في الأدب الصهيوني، دمشق ٢٠١١.

جمال الشاذلي ونجلاء رأفت: الشعر العبري الحديث مراحله وقضاياه، القاهرة ٢٠٠٤.

الفهرس

إصدارات ألكا للعام ٢٠١٧

١-الشرق الغريب الشرقي المحتال. بيير جوردا. ترجمة: د. مي محمود وعلي بدر.

٢ - القهوة والأدب. جورج دو لامير. ترجمة: د. مي محمود.

٣ - ليلة الأسرار. فاضل الربيعي.

٤ - أيام سادوم المائة والعشرون. الماركيز دو ساد. ترجمة كامل العامري.

٥ - أنطونيو الوسيم. فيتاليانو برانكاتي. ترجمة: مي محمود.

٦ - تحت شمس الشيطان. جورج برنانوس. ترجمة: بشرى أبو قاسم.

٧ - لا أحد على هذا الكوكب سواي. فيوليت أبو الجلد.

٨ - داروين ومرض الإيدز، صناعة الموت الأسود. سوزان س هنتر. ترجمة: فرج الترهوني ومحمد المفتي.

٩- الجرائم الليلية السوداء. مجموعة من أهم كتاب القصة البوليسية في أميركا ترجمة: أماني لازار.

١٠- العراق+ ١٠٠ قصص فنطازية عن حال العراق بعد مئة عام من الغزو الأميركي.

١١-ما ترك الشاعر للريح. فلاح الجواهري.

١٢- الله شفيق بأطفال الروضة. يهودا عميخاي. ترجمة: ماجد الحيدر.

١٣- الحب المقدس والمدنس في حياة فريدا كاهلو. كلوديا شيفر. ترجمة: محمد الفشتكي.

١٤- الهيبيز: الجنس الموسيقى والمعرفة المضادة. جمال حيدر .

١٥- حداثة بغداد في الستينيات. جمال حيدر.

١٦- حجر الجنون واللغة. جورج شحادة، صلاح ستيتية، نادية تويني وجويس منصور. ترجمة: علي بدر ومي محمود.

١٧- ليلة الصليب المعقوف. كاترين بوردكن. ترجمة مأمون الزائدي.

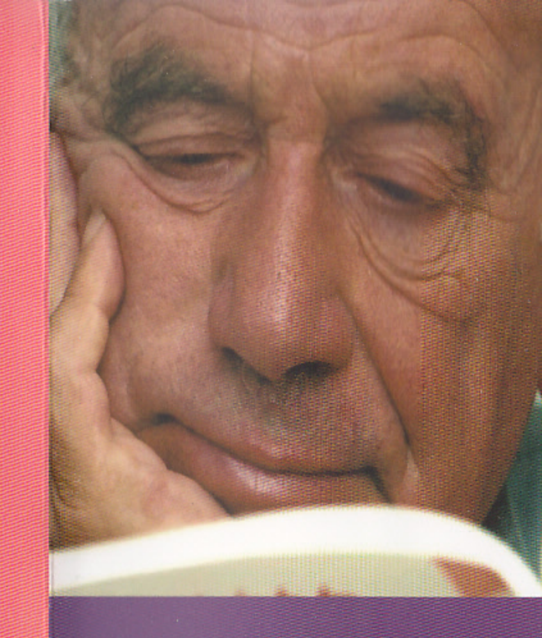
١٨- أعمدة الملح. فادية الفقير. ترجمة فرج الترهوني.

١٩ - بعد ظهر يوم أحد. رولا الحسين.

٢٠- قبو رطب لثلاثة رسامين. مصطفى تاج الدين الموسى.

تميز شعره بتناول شؤون الحياة اليومية دون اغفال القضايا الفلسفية التي تدور حول معنى الحياة والموت بأسلوب يمتاز بالبساطة الشديدة (وربما بالمباشرة التي تبدو خادعة في معظم الأحيان) وبالسخرية اللطيفة والصور الشعرية المدهشة الأصيلة، وقد خاض، مثله مثل العديد من الشعراء العلمانيين في اسرائيل صراعاً مع المؤسسة الدينية والفكر الديني السائد. كانت أشعاره مليئة بالاشارات الى الله والتجربة الدينية وأحداث ووقائع التاريخ والكتاب المقدس. فكان أن وصف بالشاعر الفيلسوف الباحث عن المذهب الانساني الما بعد اللاهوتي، كما اتهمت بعض صوره بتجاوزها للمقدسات؛ ففي قصيدته "وهذا هو مجدك" على سبيل المثال يصور الله وقد تمدد تحت الكرة الارضية كما يتمدد الميكانيكي تحت سيارة، محاولاً أن يصلحها دون جدوى. أما في قصيدته "الآلهة تتغير، الإيمان يبقى كما هو" فيصور الله على صورة دليل سياحي أو ساحر

يقول عميخاي متحدثاً عن تمكنه الذي عرف به من لغته "لقد ترعرعت في أسرة شديدة التدين فصارت الصلوات والأدعية ولغتها ضربا من اللغة الطبيعية بالنسبة لي. أنا لا أحاول -كما يفعل بعض الشعراء أحيانا- أن "أغني" قصائدي بإقحام المزيد من المواد الثقافية أو العرقية فيها، إنها تأتي بطريقة طبيعية تماما". أما أحد النقاد فقد وصف شعر عميخاي بأنه "لعبة أصوات" فهو يبني زخماً قوياً يتحرك في تداعٍ حر كلمة إثر أخرى، والأصوات في الواقع هي التي تخلق الكلمات التي تتوالى في سلسلة تركيبية تعتمد التقارب الصوتي" وهذا الأمر كما هو معروف -علاوة على غنى قصائده بالإحالات التراثية والدينية والفلسفية- يزيد من صعوبة ترجمة قصائده إلى لغات أخرى



ولد يهودا عميخاي في مدينة فورتسبورغ الألمانية لعائلة يهودية أرثوذكسية فتعلم اللغتين العبرية والألمانية. هاجرت عائلته لمدينة بتاح تكفا في عام 1935 عندما كانت فلسطين تحت الانتداب البريطاني. بعد عام هاجروا إلى القدس. درس الإنجيل والأدب العبري في الجامعة العبرية في القدس. أول كتاب شعري نشر له كان "اليوم والأيام الأخرى" سنة 1955. لاحقاً كتب الشعر أثناء إقامته في جامعات بركلي، وجامعة ييل، وجامعة نيويورك، وغيرها. كان محباً للسلام والتصالح، وقد عمل سوية مع بعض الكتاب العرب. توفي في عام 2000 بسبب مرض السرطان..

ISBN 978-1-77322-496-1



ألكا

ALCA BOOKS